صفات المنافقين في الكتاب والسنة وأشكال النفاق المعاصر

دكتور/ فهد صالح الخنة

مدرس التفسير وعلوم القرآن – قسم التفسير والحديث

كلية الشريعة – جامعة الكويت

ملخص الدراسة:

تتعرض هذه الدراسة لقضية النفاق فتعرض في المبحث الأول لحقيقة النفاق وأنواعه وخطره على المجتمع ثم تعرض في المبحث الثاني لصفات المنافقين في الكتاب والسنة، أما المبحث الثالث فكان عن النفاق المعاصر والذي تمثل في بعض المنظمات والمذاهب والأحزاب وبعض المنتسبين إلى الإسلام الذين استغلهم الاستعمار الغربي لنشر أفكاره ومهاجمة الشريعة الإسلامية.

abstract

This study dealed whith The issue of hypocrisy,it Presented in the first topic of the truth of hypocrisy. And then Presented in the second topic of Descriptions of hypocrites in the Qur'aan and Sunnah, The third topic was contemporary hypocrisy Which is represented in some organizations, sects , parties And some of those affiliated with Islam who were exploited by Western colonialism To Publish his ideas and attack Islamic law.

مقدمة:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}(١) {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}(٢) {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}(٣) أما بعد،،،

فهذا البحث يدور حول النفاق في القرآن الكريم، ذلك المرض العضال الذي إذا أصاب قلب الإنسان ألقاه في الدرك الأسفل من النار، وإذا استفحل في المجتمع بعثره وأضعفه وجعله لقمة سائغة لأعداء الأمة، وقد كانت بداية ظهور النفاق في المدينة بعد غزوة بدر وقوة شوكة المسلمين؛ فقد كانوا في مكة مستضعفين وكان الكفار لا يخشونهم ولا يراعونهم بل يؤذونهم ويعذبونهم، حتى ألجؤوهم إلى ترك أوطانهم والهجرة من مكة إلى المدينة، فلما انتصروا على المشركين وأصبحت لهم الكلمة العليا في المدينة هابتهم العرب بعد غزوة بدر وخاف مشركو المدينة جانبهم فنافقوهم مظهرين للإسلام مبطنين للكفر؛ ليستمروا في حرب المسلمين من الداخل ويأمنوا على أنفسهم، فيتسنى لهم أن يحاربوا الإسلام وأهله في الخفاء مستغلين حصانة المسلم التي يمنحها إياهم إظهارهم للإسلام، وهذا النوع من الحروب هو أخطر أنواع الحروب وأشدها ضررا؛ لأن المنافقين – والحال هذه – لا يتحرز منهم إلا أهل البصائر، وربما اتصف بصفاتهم بعض المسلمين، فيختلط أمرهم مع المسلمين وتلتبس حقيقتهم على المجتمع المسلم، ولأننا مأمورون بالتعامل مع الناس على ظواهرهم حماية للناس من أخذهم بالظنون والشكوك.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠، ٧١.

وعلى كلٍّ فقد استفاد المنافقون من هذه الحصانة، ليزداد مكرهم ويتعاظم كيدهم ضد الإسلام والمسلمين ويتكرر إيذاؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في المدينة، فجاء القرآن الكريم والسنة النبوية ببيان صفاتهم وأخلاقهم، حتى يعرفهم المسلمون ويحذروا منهم ولا يتحلوا بصفاتهم؛ ولم ينص القرآن والسنة على أسمائهم؛ لأن الأجيال تتغير وتبقى الصفات ثابتة تتوارثها أجيال المنافقين ويخلف بعضهم بعضا فيها، حتى إنك تجدهم يكررون نفس الكلام ويعتقدون نفس العقائد ويتحلون بنفس الصفات السلوكية.

قال ابن القيم: (وقد هتك الله أستارهم، وكشف أسرارهم، وضرب لعباده أمثالهم، وأعلم أنه كلما انقرض منهم طوائف خلفهم أمثالهم، فذكر أوصافهم، لأوليائه ليكونوا منها على حذر، وبينها لهم، فقال {ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم}[1])[2].

ويأتي هذا البحث لبيان معنى النفاق وأنواعه وصوره وصفات المنافقين، وصور النفاق القديم والمعاصر لخطورة النفاق على الأمة الإسلامية والمسلمين منذ ظهوره في زمن الرسول ﷺ إلى يومنا هذا، ليكون المؤمنين على حذر من المنافقين ولا ينخدعوا بالأسماء الجديدة والشعارات الجذابة التي يخفون وراءها كيدهم وخبثهم، فأبدأ بتعريف النفاق وأبين أنواعه وأنوه بخطره، ثم أتعرض لبيان صفات المنافقين في الكتاب والسنة ثم أعرج على بعض مظاهر النفاق المعاصر ممثلة في بعض المنظمات والمذاهب والأحزاب، أسال الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يرزقني الإخلاص في النية والقول والعمل، ويسدد رأيي وقلمي ويكتب لي الأجر والثواب إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

---

(١) سورة محمد، الآية: ٩.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م (١/ ٣٦٣).

المبحث الأول:
حقيقة النفاق وأنواعه وخطره.
المطلب الأول: تعريف النفاق.

أولا: تعريف النفاق.

١ – تعريف النفاق في اللغة.

النفاق لغة مأخوذ من النفق، وهو أحد مداخل جحر اليربوع يكتمها ويظهر مدخلا آخر هو القاصعاء حتى يستطيع الهرب من النافقاء عند الخطر.

قال الأزهري: (النفق سرب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر. والنافقاء: موضع يرققه اليربوع في جحره، فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق منها)[١].

وقال ابن رجب: (النفاق في اللغة هو من جنس الخداع والمكر وإظهار الخير وإبطان خلافه)[٢].

٢ – تعريف النفاق في الاصطلاح الشرعي.

عرف الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) النفاق بأنه "الدّخولُ في الشَّرْعِ من بابٍ والخروجُ عنه من بابٍ"[٣].

وهو تعريف غير مانع؛ لأنه يشمل كل المعاصي؛ إذ الإتيان بالمعاصي دخول في الشرع من باب الإسلام وخروج عنه من باب المعصية.

---

(١) تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م (٩/ ١٥٦) وانظر: الصحاح، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧ م (٤/ ١٥٦٠) ومقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، (٥/ ٤٥٥).

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت

الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م (٢/ ٤٨١).

(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت

الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ (ص: ٨١٩).

وكذلك تعريف ابن كثير (٧٧٤هـ) قال: (هو إظهار الخير، وإسرار الشر وهو أنواع: اعتقادي، وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي وهو من أكبر الذنوب) [١]. حيث يدخل في هذا التعريف النفاق الأصغر.

وقال ابن الأثير (٦٠٦هـ): إن اسم النفاق يقال للذي "يستر كفره ويظهر إيمانه"[٢].

وقريب منه تعريف الجرجاني (٨٠٦هـ) بأنه: (إظهار الإيمان باللّسان وكتمان الكفر بالقلب)[٣].

وعرفه الدكتور محمد حسن بأنه: "أن يُظهر الإسلام مع خَواء قلبه أو فراغه من الإيمان"[٤].

والاتجاه الذي سلكه ابن الأثير ومن شابهه هو الأولى في تعريف النفاق؛ لأن النفاق إذا أطلق في الشرع، انصرف معه الذهن إلى النفاق الاعتقادي الذي نزل القرآن الكريم بذمه ونوه بكفر صاحبه وتوعده بالنار، بخلاف النوع الآخر الذي يطلق بالإضافة فيقال نفاق عملي أو نفاق أصغر.

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن "عرف الاستعمال الشرعي غلب على نفاق الكفر"[٥].

وقال ابن رجب الحنبلي عن النفاق الاعتقادي: (هذا هو النفاق الذي كان على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار)[٦].

---

(١) تفسير ابن كثير، لابن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م (١/ ١٧٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (٥/ ٩٨).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٩٨).

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل، د. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م (٤/ ٢٢٤٢).

(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م (١١/ ١٤٥).

(٦) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٨١).

وعليه: يمكن تعريف النفاق بأنه "إظهار الإسلام وكتمان الكفر"، فالمنافق يظهر بلسانه الإسلام ويبطن الكفر بأصل من أصول الإيمان بالله تعالى.

٣ – العلاقة بين المعنى اللغوي والمعني الاصطلاح.

١ – ذكر ابن فارس علاقتين بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي للنفاق هما:

الأولى: هي علاقة الإخفاء؛ لأن المنافق يكتم خلاف ما يظهر، ولأن الإيمان يخرج من المنافق، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء.

الثانية: علاقة الخروج؛ لأن النفاق يخرج المسلم من الإسلام كما يخرج النفق اليربوع(١).

٢ – وذكر الدكتور محمد حسن حسن علاقة أخرى وهي الفراغ، فإن النفق فارغ من الدخل كما المنافق فارغ من أصول الإيمان مع بقاء ظاهره ملتئمًا كالنفق(٢).

٣ – وخرج ابن الجوزي من الاشتقاق ثلاثة أقوال قال: (فيخرَّج من هذا في تسمية المنافق منافقا ثلاثة أقوال:

(**أحدها:** أنه يدخل في الإسلام باللفظ ويخرج منه بالعقد، كما يدخل اليربوع من باب ويخرج من باب، قاله أبو زيد النحوي.

والثاني: أنه يستر كفره كما يستتر اليربوع.

والثالث: أنه يظهر غير ما يضمر، كما أن ظاهر جحر اليربوع تراب كالأرض وما تحته حَفْرٌ) (٣).

المطلب الثاني: أقسام النفاق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إبطان ما يخالف الدين إما أن يكون كفرا أو فسقا. فإذا أظهر أنه مؤمن وأبطن التكذيب فهذا هو النفاق الأكبر الذي أوعد صاحبه بأنه في الدرك الأسفل من النار.

وإن أظهر أنه صادق أو موفٍ أو أمينٌ وأبطن الكذب والغدر والخيانة ونحو ذلك. فهذا هو النفاق الأصغر الذي يكون صاحبه فاسقا. فإطلاق النفاق عليهما في الأصل بطريق

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٤٥٥).

(٢) انظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل (٤/ ٢٢٤١).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض (٣/ ٤٠٨).

التواطؤ. وعلى هذا؛ فالنفاق اسم جنس تحته نوعان. ثم إنه قد يراد به النفاق في أصل الدين مثل قوله {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} [النساء: ١٤٥][١] و{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}[٢] والمنافق هنا: الكافر. وقد يراد به النفاق في فروعه. مثل قوله صلى الله عليه وسلم: ((آية المنافق ثلاث))[٣] وقوله: ((أربع من كن فيه كان منافقا خالصا))[٤])[٥].

وعلى هذا ينقسم النفاق إلى نوعين:

النوع الأول: النّفاق الأكبر.

وهو النفاق في أصل الدين، وهو: أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويبطن ما يناقض ذلك كلّه أو بعضه. وهذا النوع مخرج من الملة[٦].

قال ابن رجب: (وهذا هو النفاق الذي كان على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم –، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار)[٧].

ومثل هذا النوع من النفاق في أصل الدين: إعلان قبول كل العقائد الإسلامية التي جاء بها الإسلام، وإعلان قبول الطاعة لله ورسوله والإسلام لأوامر الله ونواهيه وإبطان الكفر بكل أو بعض العقائد الإيمانية التي جاء بها الإسلام، أو إبطان رفض الطاعة ورفض الإسلام لله ورسوله ولو لبعض الأوامر والنواهي الصحيحة الثابتة[٨].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

(٢) سورة المنافقين، الآية: ١.

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) سيأتي تخريجه.

(٥) مجموع الفتاوى (١١/ ١٤٣).

(٦) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٥٤) تفسير ابن كثير (١/ ١٧٦). وجامع العلوم والحكم (٢/ ٤٨١) والتحفة الربانية في شرح الأربعين حديثا النووية، لإسماعيل بن ماحي السعدي، مطبعة دار نشر الثقافة – الإسكندرية، الطبعة: الأولى، ١٣٨٠ هـ (ص: ١٠٢).

(٧) انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٨١).

(٨) انظر: ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٣ (٧٧/١).

وقد نشأ هذا النوع من النفاق عندما عز الإسلام وظهر، وعجز من مال إلى الكفر عن مواجهته ومقاومته، فاتُّخذ النفاق حيلة لعصمة الدم والمال وذريعة للكيد للإسلام والمسلمين، بالتعرف على عوراتهم ومواطن ضعفهم وإفشائها إلى الكفار وإثارة الشبه في العقيدة والدين والإرجاف بين المسلمين وتثبيطهم وإيقاع العداوة بينهم، وقد كانت بلية الإسلام والمسلمين بهذه الطائفة كبيرة جدا حتى قال ابن القيم: (فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه؟! وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه؟! وكم من عَلَم له قد طمسوه؟ ! وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه؟! وكم ضربوا بمعاول الشبه في أصول غراسه ليقلعوها؟! وكم عَمَّوْا عيون موارده بآرائهم ليدفنوها ويقطعوها؟!. فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبلية، ولا يزال يَطرُقه من شبههم سَريَّة بعد سَريَّة)[(١)].

وحكم هذا المنافق أنه في النار مع الكفار، غير أنه أنزل دركة منهم، بل هو في أنزل دركة من النار كما جاء في قوله تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا}[(٢)].

قال ابن القيم: (وهؤلاء المنافقون، وهم فى الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: {إِنَّ المُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً}[(٣)]، فالكفار المجاهرون بكفرهم أخف، وهم فوقهم فى دركات النار؛ لأن الطائفتين اشتركتا فى الكفر ومعاداة الله ورسله، وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق، وبلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين، ولهذا قال تعالى فى حقهم: {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ}[(٤)])[(٥)].

النوع الثاني: النّفاق الأصغر أو النفاق العملي.

وحقيقته أن يظهر الإنسان علانية صالحة ويبطن ما يخالف ذلك. وهذا النوع غير مخرج من الملة؛ ولكنه سمي نفاقا لاتصاف صاحبه ببعض صفات المنافقين التي ذكرها

---

(١) مدارج السالكين بين (١/ ٣٥٥).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

(٤) سورة المنافقين، الآية: ٤.

(٥) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم، الدار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ (ص: ٤٠٢).

الشرع الشريف[١]. فحاصل هذا النفاق هو اختلاف السريرة والعلانية وعلى ذلك دلت بعض عبارات السلف.

قال الحسن: (من النفاق اختلاف القلب واللسان، واختلاف السر والعلانية، واختلاف الدخول والخروج) [٢].

وري عن عمر أنه قال على المنبر: (إن أخوف ما أخاف عليكم المنافق العليم، قالوا: كيف يكون المنافق عليما؟ قال: يتكلم بالحكمة، ويعمل بالجور، أو قال: المنكر) [٣].

وسئل حذيفة عن المنافق، فقال: «الذي يصف الإسلام ولا يعمل به»[٤].

وقيل لابن عمر: إنا ندخل على سلطاننا، فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم، قال: كنا نعد هذا نفاقا[٥].

وقال بلال بن سعد: (المنافق يقول ما يعرف، ويعمل ما ينكر) [٦].

فهذه النقول الكثيرة تؤكد على أن النفاق الأصغر شبيه بالنفاق الأكبر في اختلاف السريرة والعلانية، لكنه يختلف عنه في أنه لا يتضمن كفرا بأصل من أصول الإيمان أو بجميعها.

وقد ذكر ابن رجب أن أصول هذا النفاق ترجع إلى خسمة خصال هي:

١ – أن يحدث بحديث لمن يصدقه به وهو كاذب له.

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٥٤) وتفسير ابن كثير (١/ ١٧٦) وجامع العلوم والحكم (٢/ ٤٨١).

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة، تحقيق: رضا معطي، وآخرون، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض (٢/ ٦٩١) وصفة النفاق وذم المنافقين للفريابي، تحقيق: أبي عبد الرحمن المصري الأثري، دار الصحابة للتراث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م (ص: ٩٠) وصفة النفاق ونعت المنافقين لأبي نعيم، تحقيق: د عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م (ص: ١٤٩).

(٣) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ (٢/ ٦٣٣).

(٤) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (٢/ ٦٣١).

(٥) صفة النفاق ونعت المنافقين لأبي نعيم (ص: ١٢٧).

(٦) صفة النفاق وذم المنافقين للفريابي (ص: ٩٣) وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني، مطبعة السعادة، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م (٥/ ٢٣٠) وتاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م (١٠/ ٤٩٥).

٢ – أن يعد فيخلف الوعد، وهذا يكون على نوعين: أحدهما: أن يعد ومن نيته أن لا يفي بوعده، وهذا أشر الخلف، والثاني: أن يعد ومن نيته أن يفي، ثم يبدو له فيخلف من غير عذر له في الخلف.

٣ – أن يفجر في الخصومة؛ أي: أن يخرج عن الحق عمدا حتى يصير الحق باطلا والباطل حقا.

٤ – أن يعاهد فيغدر ولا يفي بالعهد.

٥ – أن يخون أمانته لمن يأتمنه عليها(١).

وقد دلت نصوص السنة على أن هذه الخصال من من خصال المنافقين ففي حديث أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان"(٢).

وفي حديث عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"(٣)؛ فزاد اثنتين هما الفجر في الخصومة والغدر بالعهود.

قال النووي: (الذي قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار أن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال، ومتخلق بأخلاقهم ... ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا أنه منافق في الإسلام، فيظهره وهو يبطن الكفر ... وقوله صلى الله عليه وسلم كان منافقا خالصا معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه فأما من يندر ذلك منه فليس داخلا فيه)(٤).

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٨٢ – ٤٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامات المنافق (١/ ١٦) برقم (٣٣) ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، (١/ ٧٨) برقم (٥٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق (١/ ١٦) برقم (٣٤) ومسلم، في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، (١/ ٧٨) برقم (٥٨).

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ (٢/ ٤٧).

وهذه الصفات من المعاصي سميت نفاقا؛ لأن أساسها الخداع وهي مترتبة عليه لا محالة بعضها أو كلها، فالواقع في هذا النوع يخدع الناس بالكذب ليستدرجهم إلى الثقة به فيأتمنوه على أموالهم أو أعراضهم أو أسرارهم أو عهودهم ويصدقون وعوده وعهوده، فإذا خان فيما ائتمنوه عليه كانت خيانته استثمارا لثقاقه، "وحين تتكشف خيانته وينكشف غدره ونقضه لعهده وإخلافه في وعده يحاول أن يستر نفسه بالمخاصمة الفاجرة والأيمان المغلظة، وهكذا تجتمع في المنافق في معظم حالات نفاقه خمس خصال هي من قبائح الصفات"[١].

ونشأة هذا النوع آتية من أن بعض المسلمين قد يقع في بعض الذنوب التي يتصف بها المنافقون، كإخلاف الوعد وإدمان الكذب وخيانة الأمانة وهي صفات ملازمة للمنافقين، وصاحب هذا النوع يستحق العقوبة على ما فعله لكنه لا يكفر، ولا يخلد في النار بل هو من أهل القبلة.

قال ابن تيمية: (الإسلام الظاهر[٢] يدخل فيه المنافقون فيدخل فيه من كان في قلبه إيمان ونفاق، وقد علم أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، بخلاف المنافق المحض الذي قلبه كله أسود فهذا هو الذي يكون في الدرك الأسفل من النار؛ ولهذا كان الصحابة يخشَوْن النفاق على أنفسهم ولم يخافوا التكذيب لله ورسوله، فإن المؤمن يعلم من نفسه أنه لا يكذب الله ورسوله يقينا)[٣].

المطلب الثالث: خطر النفاق على الفرد والمجتمع.

للنفاق خطر كبير سواء على الفرد أو المجتمع وتوضيح ذلك فيما يلي:

أولا: خطر النفاق على الفرد.

النفاق الذي يصيب الفرد إما أن يكون النفاق الاعتقادي (النفاق الأكبر) وهو أسوأ الحالات التي يتقلب فيها المرء؛ لأن هذا المنافق يأخذ جزاء الكافر في الآخرة كما سبق بيانه، بل هو في منزلة أسوأ من منزلة الكافر الأصلي لخداعه لعموم المسلمين، وحرصه على الكيد لهم.

---

(١) ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، (٧٤/١).

(٢) يقصد الإسلام الراجح؛ لأن المنافق يعامل معامل المسلم لما أظهر من إسلام.

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠٥).

وأما النفاق الأصغر فهو بوابة النفاق الأكبر ووسيلته "كما أن المعاصي بريد الكفر، وكما يخشى على من أصر على المعصية أن يسلب الإيمان عند الموت، كذلك يخشى على من أصر على خصال النفاق أن يسلب الإيمان فيصير منافقا خالصا"(١)؛ ولهذا كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يخافون النفاق على أنفسهم(٢).

سئل أبو رجاء العطاردي: ((هل أدركت من أدركت من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يخشون النفاق؟ فقال: نعم إني أدركت منهم بحمد الله صدرا حسنا، نعم شديدا، نعم شديدا))(٣).

وقال البخاري: (قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – كلهم يخاف النفاق على نفسه. ويذكر عن الحسن قال: ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق)(٤).

وروي عن الحسن أنه حلف: ما مضى مؤمن قط ولا بقي إلا وهو من النفاق مشفق، وما مضى منافق قط ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن. وكان يقول: من لم يخف النفاق، فهو منافق(٥).

وقال الأوزاعي: قد خاف عمر النفاق على نفسه، قيل له: إنهم يقولون: إن عمر لم يخف أن يكون يومئذ منافقا حتى سأل حذيفة، ولكن خاف أن يبتلى بذلك قبل أن يموت، قال: هذا قول أهل البدع(٦).

قال ابن رجب: (يشير إلى أن عمر كان يخاف النفاق على نفسه في الحال، والظاهر أنه أراد أن عمر كان يخاف على نفسه في الحال من النفاق الأصغر، والنفاق الأصغر وسيلة إلى النفاق الأكبر، كما أن المعاصي بريد الكفر، وكما يخشى على من أصر على المعصية أن يسلب الإيمان عند الموت، كذلك يخشى على من أصر على خصال النفاق أن يسلب الإيمان فيصير منافقا خالصا)(٧).

---

(١) ذكره ابن رجب الحنبلي ولم أقف عليه، انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٩٢ – ٤٩٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠٥) وجامع العلوم والحكم (٢/ ٤٩١).

(٣) صفة النفاق وذم المنافقين للفريابي (ص: ١١٨).

(٤) صحيح البخاري (١/ ١٩).

(٥) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (٢/ ٦٣٤) وصفة النفاق وذم المنافقين للفريابي (ص: ١٢١).

(٦) ذكره ابن رجب الحنبلي ولم أقف عليه، انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٩٢).

(٧) ذكره ابن رجب الحنبلي ولم أقف عليه، انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٩٢ – ٤٩٣).

ثانيا: خطر النفاق على المجتمع الإسلامي.

لا شك أن العدو المخالط المداخل أخطر وأشد كيدا من العدو البعيد، كما أن اللص المُداخل الذي يلبس ثوب الصديق أشد ضررا وأنفذ مكرا من اللص المكشوف أمام العين، وقد شاع في المثل: لص الدار لا تراقبه الأنظار، ولهذا حذر الله تعالى ورسوله ‘ من المنافقين، ونهى القرآن الكريم المسلمين عن اتخاذهم بطانة لقرب ضررهم فقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا}[١] فهذه المخالطة قد تكون سببا في تمكنهم من العلم بأسرار المسلمين، فتؤدي إلى إحباط ما يدبرونه من أمر لإعلاء الإسلام[٢].

وجاء في الحديث الشريف تحذير من المنافقين فقال ‘ فيما يرويه عمر ¢: ((إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة كل منافق عليم اللسان))[٣].

ففي الحديث إشارة إلى أن المنافق متخفٍ وراء علمه مع زيغ قلبه، ومثل هذا يكون ذا أبهة وهيبة في عيون الناس فيقبلون ما يلقيه وقد يكون ضلالا[٤]. وهذا نفسه ما وصف به القرآن الكريم المنافقين في قوله تعالى: {وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ}[٥].

قال صديق حسن خان: (والمعنى: لَتحسب أن قولهم حق وصدق لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم، قال الكلبي: المراد عبد الله بن أبيّ وجد بن قيس ومعتب بن قشير، كانت لهم أجسام ومنظر وفصاحة)[٦].

فالحذر من المنافقين واجب بالشرع الشريف وذلك للأضرار الكثيرة التي يمكن أن تصيب الإسلام والمسلمين من جراء مخالطة المسلمين لهم، ومنها:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.

(٢) انظر: ظاهرة النفاق، (١٥/١).

(٣) مسند أحمد (١/ ٣٩٩)، قال البوصيري في "إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة" (٧/ ٣٦٦): (رواه إسحاق بن راهويه والحارث بن أبي أسامة ومسدد واللفظ له بسند صحيح)، وانظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١/ ١٨٧).

(٤) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لعبد الرحمن، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية (١٩/ ٢٣٢).

(٥) سورة المنافقين، الآية: ٤.

(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن خان، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م (١٤/ ١٤٧).

١ – **إثارة الشبهات والتأويل العبثي للنصوص**؛ فلا يفتر هؤلاء المنافقون في كل عصر ومصر عن إثارة الشبهات في الشرع الشريف ليزلزلوا عقائد المسلمين، ويوقعوا الشك في نفوسهم، وكثيرا ما اتخذ المنافقون التأويل سلاحا لأداء غرضهم، وتأتي خطورة هذا السلاح في أنه لا يلقي كتاب الله وراءه ظهريا فينكشف أمر صاحبه ويهجر قوله، بل يساعد المنافق على تحقيق غرضه مع فرصة إلصاق شبهته بنصوص الشرع، وقد أوغل هؤلاء المنافقون في هذا الأمر حتى وضعوا قوانين متعددة أمضوا عليها تفسير النصوص وتأويلها؛ ثم راحوا ينعتون المؤمنين من علماء الإسلام بالتخلف وعدم إدراك الوحي؛ "فالمتمسك عندهم بالكتاب والسنة صاحب ظواهر، مبخوس حظه من المعقول، والدائر مع النصوص عندهم كحمار يحمل أسفارا، فَهمُه في حمل المنقول"(١).

وأكثر أهل البدع المؤولين للشرع منافقون؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (هل البدع فيهم المنافق الزنديق فهذا كافر، ويكثر مثل هذا في الرافضة والجهمية فإن رؤساءهم كانوا منافقين زنادقة. وأول من ابتدع الرفض كان منافقا. وكذلك التجهم فإن أصله زندقة ونفاق. ولهذا كان الزنادقة المنافقون من القرامطة الباطنية المتفلسفة وأمثالهم يميلون إلى الرافضة والجهمية لقربهم منهم) (٢).

٢ – **تحريف الشرع وإفساده بالوضع فيه**؛ فهناك كثير من المسائل والأفكار الغريبة حاول المنافقون وضعها على الشرع الشريف، وكثير من المفاهيم والعقائد الغريبة على الإسلام وضعها منافقون من اليهود والنصارى ادعوا الإسلام نفاقا ليدسوا فيها العقائد الباطلة، مثل فكرة حلول الله واتحاده في الأشخاص البشرية والتي تسللت إلى عقائد المسلمين من اليهود والنصارى، وفكرة تأليه علي بن أبي طالب ﷺ وتأليه سلالته من بعده – عماد فكر الإمامية الرافضة – والتي دسها اليهودي عبد الله بن سبأ، وفكرة احتقار الدنيا التي انتقلت إلى بعض المتصوفة من النصارى وأفكار التناسخ التي وردت عن الهند، وكم من طقوس ومراسيم نصرانية وثنية وعادات نصرانية كنسية تسللت

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٥٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٣).

إلى بعض فرق المسلمين عن طريق الداخلين في الإسلام نفاقا من أصول النصرانية[١].

وهناك طوائف منهم تهجر الشرع بالكلية وتقول صراحة: إن نصوص الشرع الشريف بنت الزمان الذي نزلت به وما عادت تصلح لغير ذلك من الأزمنة[٢]! لأنه في زعمهم "نتاج ثقافي، أنتجه الواقع الذي تشكل فيه، أي: واقع العرب اللغوي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي في زمن النبوة"[٣].

٣ – تقويض دعائم النظام الإسلامي؛ فالناظر في التيارات الحديثة يلحظ عناية فائقة وجهدا منقطع النظير من هذه التيارات لإقصاء الإسلام عن الحياة الإسلامية، وللأسف الشديد كثير من هذه التيارات يبني أفكاره على آراء بعض المنتسبين للمجامع العلمية الإسلامية كالأزهر الشريف[٤]، فتراهم ينادون بفصل الدين عن الدولة وضرورة ابتعاد الإسلام عن الحياة الاجتماعية، وهذا الأمر ليس تحييدا للإسلام فحسب بل هو ترك

---

(١) انظر: ظاهرة النفاق (١٧/١) ومقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم، محمد العبدة، وطارق عبد الحكيم، دار الأرقم، الكويت، ط٢، ١٩٨٦ (ص ١٢١) وما بعدها، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب عواجي، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م (١/ ٨٢).

(٢) انظر: الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، لمحمد عمارة. دار الشروق القاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٣/ ٢٠٠٣، (ص: ٦٠) وأبرز الناعقين بذلك محمد أركون ونصر أبو زيد وأتباعهم في العصر الحديث، ونتيجة هذه التاريخية هي حرية القراءة أو التأويل ليصبح النص القرآني نصا مطاطا وحرا لقبول كل مناهج التأويل فالشيوعي يقرؤه وفق قوانين الشيوعية والليبرالي بل والمسيحي واليهودي كذلك، انظر: كتاب نقد الخطاب الديني، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء وبيروت. الطبعة الثالثة ٢٠٠٧، (٨٧ – ٨٨)، والعلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، مصطفى باخو السلاوي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م (ص: ١٦٠) وفي هذا المعنى يقول أركون صراحة في كتابه تاريخية الفكر العربي والإسلامي، مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي ترجمة هاشم صالح الطبعة الثالثة ١٩٩٨، (ص: ١٤٥): (إن القرآن هو عبارة عن مجموعة من الدلالات والمعاني الاحتمالية المقترحة على كل البشر، وبالتالي فهي مؤهلة لأن تثير أو تنتج خطوطا واتجاهات عقائدية متنوعة بقدر تنوع الأوضاع والأحوال التاريخية التي تحصل فيها أو تتولد فيها).

(٣) الممنوع والممتنع، نقد الذات المفكرة، علي حرب، المركز الثقافي العربي الطبعة الرابعة ٢٠٠٥ (ص: ١٧٣).

(٤) سيأتي الحديث عن دور الأستاذ علي عبد الرازق أحد المتخرجين في الأزهر الشريف في هذا الأمر في المبحث الثالث.

المجال واسعا للانحراف الأخلاقي والعقدي ليترعرع في الحياة الاجتماعية الإسلامية، ويعني هذا خسارة الدنيا والآخرة، ويتضمن كذلك إفساح المجال للنفاق الاستعماري والمشروع الامبريالي الغربي للهيمنة بما فيه من مفاهيم وتصورات عن الكون والحياة والنشاط الاجتماعي بعامة؛ لذلك يقرر بعض الباحثين في غير موارية "أن العلمانيين هم طلائع الاستعمار وآليات الهيمنة الغربية وامتداد للسيطرة الغربية"(١).

٤ – إشاعة الفتن والنزاعات في المجتمع الإسلامي والتربص بالمسلمين؛ فمعظم النكبات والفتن الداخلية التي تعرض لها المسلمون خلال تاريخهم الطويل قد كانت بسبب الدسائس والمكايد، التي تولي المنافقون والمنخدعون بهم كبرها، فعنهم نشأت معظم الفرق المنحرفة المرتدة عن الإسلام، وهم الذين أحكموا دسائسهم فأسسوا فرقة الباطنية المرتدة الملحدة التي كادت للإسلام والمسلمين، أيما كيد خلال قرون عديدة، وكانت لها صلات سرية باليهود الذين يحقدون على الإسلام والمسلمين، يدبرون ضدها كل ما يستطيعون من كيد، وكان من الباطنيين دعم وتأييد لليهود في مختلف مجالات الحياة(٢).

وهم دائما يتربصون بالمسلمين ويعاونون أعداء الإسلام عليهم، وأشهر من قام بهذا الدور في التاريخ الإسلام فرقة الباطنية الخبيثة التي تدين بالنفاق والتقية.

وقد تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية عن عقائد الباطنية وأشار إلى الدور الذي لعبوه في خدمة أعدائ الإسلام فقال: (هؤلاء القوم المسمَّونَ بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من ضرر الكفار المحاربين، مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا بنهي ولا بثواب ولا بعقاب ولا بجنة ولا بنار) (٣).

ثم تحدث عن دورهم في خدمة أعداء الإسلام من النصارى والتتار فقال: (ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم، وهم دائماً مع كل

(١) العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام (ص: ١٩٩).

(٢) ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، (١٨/١).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٤٩).

عدو للمسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين ... ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعونتهم ومؤازرتهم) [1].

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٥١).

المبحث الثاني

صفات المنافقين في الكتاب والسنة.

حرص القرآن الكريم والسنة النبوية على تحديد أوصاف المنافقين وما يلازمهم من أخلاق وطبائع حتى يعرفهم المسلمون ويكونون بمأمن من شرهم الدفين، الذي ينتظر لحظة مواتية ليفتك بأمن المسلمين جميع أمورهم، فلم يفتأ المنافقون يثيرون الشبهات حول العقيدة ليفسدوا دين المسلمين ولم يزالوا يراقبونهم ويعرفون بواطن أمورهم وأسرارهم ليذيعوها إلى أعدائهم فتكون لهم بذلك الدولة على الإسلام والمسلمين، ولهذا يجب على المسلمين إدراك أوصاف المنافقين ليأخذوا حذرهم ويتجنبوا خطرهم، وللمنافقين أوصاف ذميمة لا ينفكون عنها، إذ أساس النفاق هو الكذب "وإن الكذب يهدي إلى الفجور"[١].

يقول الشيخ ابن عاشور: (النفاق يجمع الكذب، والجبن، والمكيدة، وأفن الرأي، والبله، وسوء السلوك، والطمع، وإضاعة العمر، وزوال الثقة، وعداوة الأصحاب، واضمحلال الفضيلة)[٢].

وأما أوصاف المنافقين التي ذكرها القرآن والسنة فهي:

١ – **إظهار الإسلام وإبطان الكفر**، وهذا هو أساس النفاق، إظهار الإيمان وإبطان الكفر، قال الطبري في تعريف المنافق هو الذي (يرائي بإظهار الإيمان في الظاهر، ويستسر النفاق في الباطن)[٣]. وقد دلت آيات كثيرة على هذا المعنى منها:

قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠)}[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} [التوبة: ١١٩] وما ينهى عن الكذب (٨/ ٢٥) برقم (٦٠٩٤) ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٤/ ٢٠١٣) برقم (٢٦٠٧).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ (١/ ٢٦١).

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٢٦١).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٨ – ١٢.

قال قتادة في قوله: (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين)، حتى بلغ: (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) قال: هذه في المنافقين[1].

وعن الربيع بن أنس، في قوله: (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) إلى (فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم) ، قال: هؤلاء أهل النفاق[2].

قال ابن جريج، في قوله: (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) قال: هذا المنافق، يخالف قوله فعله، وسره علانيته ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه[3].

وقوله تعالى: {إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ}[4] فأثبت أنهم لم يؤمنوا بالله تعالى بل زادوا كبرا وجهالة فكانوا "يشيعون في مجالسهم أن المؤمنين سفهاء، وأنهم هم المدركون وحدهم، العارفون بحقيقة العقائد، وأنهم الأعلون؛ لأن في المؤمنين موالي كصهيب وبلال وخباب وعمار وغيرهم"[5]، ولكنهم كانوا يتظاهرون أمام الصحابة لا سيما كبارهم بالإيمان فيقولون: دخلنا في جماعتكم مؤمنين مصدقين، ولكنهم إذا تركوا المؤمنين وكانوا في جماعتهم قالوا: إنا معكم، كما جاء في قوله تعالى: {إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ}[6].

وقوله تعالى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}[7]، ولا يكونون كاذبين إلا في دعوى الإيمان وخلوص القلب به؛ إذ شهادة أن محمدا رسول الله حق وصدق[8].

---

(1) تفسير الطبري، لابن جرير الطبري، تحقيق: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطَّيَّار، دار ابن الجوزي، الطبعة: الثامنة، ١٤٣٠ هـ (١/ ٢٦٩).

(2) تفسير الطبري (١/ ٢٦٩).

(3) تفسير الطبري (١/ ٢٧٠).

(4) سورة البقرة، الآية: ١٣.

(5) انظر: زهرة التفاسير، للشيخ محمد أبي زهرة، دار الفكر العربي (١/ ١٣٣).

(6) سورة البقرة، الآية: ١٣ – ١٥.

(7) سورة المنافقين، الآية: ١.

(8) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (١٤/ ١٤٦)

وقال تعالى: {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ}[1].

فذكر دعواهم وهي الإقرار بالإسلام والميل إلى الطاعة ثم نفى الإيمان لإبطانهم الكفر والكيد للإسلام والمسلمين[2].

قال قتادة قال: أناس من المنافقين أظهروا الإيمان والطاعة، وهم في ذلك يصدون عن سبيل الله وطاعته وجهاده مع رسوله[3].

٢ – **رفض الاحتكام إلى القرآن والسنة**، وهذه خاصية من خصائص المنافق، فإن المنافقين أصلا ليسوا بمسلمين؛ فلذلك تراهم يرفضون الرجوع إلى القرآن والسنة والاحتكام إلى الشريعة الإسلامية، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة وصورها في كثير من الآيات منها:

– قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا}[4].

ففي هاتين الآيتين تعجب من حال هؤلاء الذين ادّعوا لأنفسهم أنهم قد جمعوا بين الإيمان بما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القرآن، وما أنزل على من قبله من الأنبياء، ثم جاؤا بما ينقض عليهم هذه الدعوى ويبطلها من أصلها، وهو التحاكم إلى غير النبي صلى الله عليه وسلم لأنه يحكم بالحق ولا يلتفت إلى الرشوة، ثم بين صفة المنافقين في الصد عن حكم النبي صلى الله عليه وسلم وشرعه، والذي يصد عن الشيء أولى بالعزوف عنه[5].

---

(1) سورة النور، الآية: ٤٧.

(2) فتح البيان في مقاصد القرآن (٩/ ٢٤٧).

(3) تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة – ١٤١٩ هـ (٨/ ٢٦٢١).

(4) سورة النساء، الآيتان: ٦٠، ٦١.

(5) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٢٠٤) وتفسير الرازي (١٠/ ١٢٠) وفتح البيان في مقاصد القرآن (٣/ ١٦٣).

– وقوله تعالى: {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨)} [١].

فبين سبحانه أنهم ينسبون إلى أنفسهم الإيمان بالله وبالرسول، والطاعة لله ولرسوله نسبة بمجرد اللسان لا عن اعتقاد صحيح، لأنهم من جهة أخرى يتولون عن القتال ويرغبون عن حكم الله تعالى ويصدون عن طاعته[٢].

قال قتادة قال: أناس من المنافقين أظهروا الإيمان والطاعة، وهم في ذلك يصدون عن سبيل الله وطاعته وجهاده مع رسوله[٣].

وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في بشر المنافق وكان قد خاصم يهوديا في أرض وكان اليهودي يجره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهما، وجعل المنافق يجره إلى كعب بن الأشرف، ويقول إن محمدا يحيف علينا[٤].

٣ – موالاة الكفار ونصرهم على المسلمين؛ لا يتردد المنافقون في تقديم العون لأعداء الإسلام، وإعانتهم على المسلمين عندما تسنح الفرصة لذلك، لأن ذلك يعينهم على تحقيق أحد أهدافهم وهي دحر الإسلام وإزالة دولته.

وقد ذكر القرآن الكريم كثيرا من الوقائع التي كان المنافقون فيها عونا للكفار للتدليل على هذه الصفتة منها:

– ما جاء في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) ثم قال: {لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١٢) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ }[٥].

---

(١) سورة النور، الآيات: ٤٧ – ٥٠.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٢/ ٢٩٣) وفتح البيان في مقاصد القرآن (٩/ ٢٤٦).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٢١).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ (٣/ ٢٠٤).

(٥) سورة الحشر، الآيات: ١١ – ١٣.

فهذه الآيات تصور إغراء المنافقين ليهود بني النضير عندما نزل بهم النبي صلى الله عليه وسلم للحرب بالثبات والصبر[١]، واعدين إياهم بالخروج معهم والثبات والنصر.

قال ابن كثير: (يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأضرابه، حين بعثوا إلى يهود بني النضير يعدونهم النصر من أنفسهم ... قال الله تعالى: {والله يشهد إنهم لكاذبون} أي: لكاذبون فيما وعدوهم به إما أنهم قالوا لهم قولا من نيتهم ألا يفوا لهم به، وإما أنهم لا يقع منهم الذي قالوه؛ ولهذا قال: {ولئن قوتلوا لا ينصرونهم} أي: لا يقاتلون معهم، {ولئن نصروهم} أي: قاتلوا معهم {ليولن الأدبار ثم لا ينصرون})[٢].

– ما نوه إليه قوله تعالى: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ}[٣].

وهذه الآيات تصور دأب المنافقين على موالاة أعداء الله ونصرتهم على المسلمين، رغبة في اتخاذ هذه النصرة يدا لهم إذا دارت الدوائر لغير المسلمين قال الطبري: (ذلك من الله خبر عن ناس من المنافقين كانوا يوالون اليهود والنصارى ويغشون المؤمنين، ويقولون: نخشى أن تدور دوائر إما لليهود والنصارى، وإما لأهل الشرك من عبدة الأوثان، أو غيرهم على أهل الإسلام، أو تنزل بهؤلاء المنافقين نازلة، فيكون بنا إليهم حاجة) [٤].

– ما جاء في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}[٥].

والذي يصور حرص المنافقين على شق الصف وتمزيق وحدة المسلمين، من خلال بناء مسجد الضرار؛ ليكون وسيلة لتفريق المسلمين واستدراج فريق منهم إلى معسكر النفاق، وقد ذكر ابن كثير في سبب نزول الآيات أن رجلا من المنافقين اسمه أبو عامر

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٨٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٧٤).

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٢.

(٤) تفسير الطبري (١٠/ ٤٠٤).

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٠٧.

ضاق ذرعا بقوة المسلمين فذهب سرا يستنجد بهرقل ملك الروم فأجابه فكتب إلى جماعة المنافقين يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغلبه ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له معقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ويكون مرصدا له إذا قدم عليهم بعد ذلك، قال: (فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، وفرغوا منه قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم، ليحتجوا بصلاته، عليه السلام، فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: "إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله"، فلما قفل، عليه السلام راجعا إلى المدينة من تبوك، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم، نزل عليه الوحي بخبر مسجد الضرار، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء، الذي أسس من أول يوم على التقوى. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة) [1].

– ما جاء في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا}[2]. والذي يصور حالة من حالات المنافقين مع المؤمنين وهي الانهزام وتخذيل المسلمين وبث اليأس في نفوسهم فيكون ذلك عونا لأعدئهم فينتصرون[3].

ذكر الطبري عن ابن جريج في تفسير الآية أنه قال: (إن أصاب المسلمون من عدوهم غنيمة قال المنافقون: "ألم نكن معكم"، قد كنا معكم فأعطونا غنيمة مثل ما تأخذون، "وإن كان للكافرين نصيب"، يصيبونه من المسلمين، قال المنافقون للكافرين: "ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين"، قد كنا نثبطهم عنكم) [4].

---

(1) تفسير ابن كثير (٤/ ٢١١).

(2) سورة النساء، الآية: ١٤١.

(3) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣٦).

(4) تفسير الطبري (٩/ ٣٢٤ – ٣٢٥).

فالمنافقون وسط المسلمين لا يألونهم خبالا وتخذيلا وتثبيطا، وهم في الخفاء يقدمون العون لأعداء الإسلام؛ ليحقق هدفهم وهو ذهاب الإسلام ودولته، وقد يفعلون ذلك ليحظوا بالأمان إذا دالت الدولة على الإسلام، فمن طبائع المنافقين أنهم أهل مصانعة ولا دين لهم[١].

٤ – **نشر الفتنة وإضعاف الجبهة الداخلية**، بل قد حذر الله تعالى النبي والمؤمنين من انضمام المنافقين إليهم بأنهم لو خرجوا في قتال مع المؤمنين لسعوا بينهم بالإفساد بما يختلقونه من الأكاذيب المشتملة على الأرجاف والنمائم الموجبة لإفساد ذات البين ونصر الشرك، فيفتنون ضعفاء المسلمين[٢] بذلك فقال تعالى: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}[٣].

ويذكر النبي والمؤمنين باعتياد المنافين صناعة الفتن والكيد من قبل هذه الغزوة فيقول: {لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ}[٤].

قال السمرقندي: (لأنهم قصدوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم قبل كثرة المؤمنين. ويقال: طلبوا إظهار الشرك قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الأمور، يعني: احتالوا في قتلك وفي هلاكك من كل وجه)[٥].

وقد صورت آيات القرآن الكريم هذه الصفة وذكرت لها مظاهر ومواقف كثيرة منها:

– صنيع المنافقين في غزوة الأحزاب والذي صورته الآيات القرآنية في قوله تعالى: {إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣٦).

(٢) انظر: تفسير السمرقندي، (٢/ ٦٣) والهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م (٤/ ٣٠١٧) وفتح البيان في مقاصد القرآن (٥/ ٣١٤).

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٧.

(٤) سورة التوبة، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

(٥) تفسير السمرقندي (٢/ ٦٣).

قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَاأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا}[1].

تذكر هذه الآيات أن المشركين اجتمعوا على المسلمين بأسرهم وظاهرهم يهود بنو قريظة وحيي بن أخطب النضري على ذلك، ونزلوا على المدينة وعمل النبي عليه السلام الخندق، وكان الأمر في غاية الشدة والخوف بالغا إلى الغاية فساء ظن المنافقين وأرجفوا بأن الغلبة واقعة للكافرين، وتهكموا من المسلمين آنذاك فقالوا: إن محمدا يعدنا أن نفتح مدائن كسرى وقيصر وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز، وأخذت طائفة منهم تخذِّل المؤمنين فقالوا: يا أهل يثرب لا مقام لكم، أي: لا وجه لإقامتكم مع محمد فارجعوا محمد، واتفقوا مع الأحزاب تخرجوا من الأحزان، وعزموا على الرجوع واستأذنوه وتعللوا بأن بيوتهم عورة أي فيها خلل لا يأمن صاحبها السارق على متاعه والعدو على أتباعه، ثم بين الله كذبهم بقوله: وما هي بعورة وبين قصدهم وما تكن صدورهم وهو الفرار وزوال القرار بسبب الخوف[2].

– ما جاء في قوله تعالى {هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ}[3].

حيث تصور هذه الآيات حرص المنافقين على توهين صف المسلمين، بالامتناع عن الإنفاق على المهاجرين حتى ينشغل كل واحد منهم بشأنه ويتفرق عن رسول الله تعالى، فتضعف شوكة المسلمين، وتذكر تحريضا صريحا من المنافق عبد الله بن سلول على معاداة النبي ومن معه بالدعوة إلى إخراجهم من المدينة، في قوله: {لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى

---

(1) سورة الأحزاب، الآيات: ١٠ – ١٣.

(2) انظر: زاد المسير في علم التفسير، عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ، (٣/ ٤٥١) وتفسير الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ (٢٥/ ١٦٠).

(3) سورة المنافقون، الآيتان: ٧، ٨.

الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ} وعنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

وتبين أسباب نزول هذه الآيات مدى حرص المنافقين على توهين الصف وإضعاف الجبهة الداخلية، بما يثيره المنافقون من إحن بين المهاجرين والأنصار، فعن جابر رضي الله عنه قال: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمعها الله رسوله صلى الله عليه وسلم قال: «ما هذا؟» فقالوا كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دعوها فإنها منتنة» قال جابر: وكانت الأنصار حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم أكثر، ثم كثر المهاجرون بعد، فقال عبد الله بن أبي: أوقد فعلوا، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه»[2].

وعن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي، يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي أو لعمر، فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم، فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله صلى الله عليه

([1]) انظر: تفسير ابن جزي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ (٢/ ٣٧٨) وتفسير البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م (٨/ ١٣٣) وفتح البيان في مقاصد القرآن (١٤/ ١٥١).

([2]) أخرجه البخاري، في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون} [المنافقون: ٨] (٦/ ١٥٤) برقم (٤٩٠٧) ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، (٤/ ٢١٤٠) برقم (٢٧٧٢).

وسلم ومقتك؟ فأنزل الله تعالى: {إذا جاءك المنافقون} [المنافقون: ١] فبعث إلي النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ فقال: «إن الله قد صدقك يا زيد»[١].

٥ – **الاستهزاء بالمؤمنين؛** وصف الله تعالى المنافقين بأنهم يستهزئون بالمؤمنين حينما يدعون أمامهم كذبا الإيمان ويشيدون بالإسلام، فإذا ما خلوا بأنفسهم رجعوا إلى حقيقة أنفسهم استهزاءا ولعبا بالمؤمنين {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}[٢].

وإن الحكم بأنهم مستهزئون يتضمن الحكم بأنهم لا يؤمنون؛ لأن من يؤمن بشيء لا يستهزئ به، فهم تجاوزوا حد الكفر إلى أبعد منه، هو الاستهزاء بالمؤمنين والسخرية منهم، والتلاعب بهم بدعوى الإيمان[٣].

ومن اسهتزاء المنافقين بالمؤمنين التهكم عليهم والتعريض بهم كما حدث في غزوة بدر لما رأوا من قلة عدد المسلمين وكثرة عدد الكفار فسخروا منهك قائلين: (غر هؤلاء دينهم) [٤] يقول الله تعالى: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[٥].

وكذلك سخروا من هيئة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورموهم بأوصاف حقيرة، ما استوجب تفكيرهم قال تعالى {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ}[٦].

روى الطبري بسنده إلى زيد بن أسلم: أن رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك: ما لقرائنا هؤلاء أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء! فقال له

---

(١) أخرجه البخاري، في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون} [المنافقون: ٨] (٦/ ١٥٢) برقم (٤٩٠٠)

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٣) انظر: زهرة التفاسير (١/ ١٣٦).

(٤) انظر: تفسير السمرقندي (٢/ ٢٦).

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٤٩.

(٦) سورة التوبة، الآيتان: ٦٥، ٦٦.

عوف: كذبت، ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم! فذهب عوف إلى رسول الله ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، قال زيد قال عبد الله بن عمر: فنظرت إليه متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة، يقول: (إنما كنا نخوض ونلعب) ! فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم: (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) ؟ ما يزيده[١].

كما عابوا المتطوعين من المؤمنين في الصدقات طوعا وطبعا، فينعتون الأغنياء منهم بأنهم أهل رياء ويسخرون من ضعف صدقة الفقراء[٢]، كما في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[٣].

قال الطبري: (يلمزون المطوعين في الصدقة على أهل المسكنة والحاجة، بما لم يوجبه الله عليهم في أموالهم، ويطعنون فيها عليهم بقولهم: "إنما تصدقوا به رياء وسمعة، ولم يريدوا وجه الله" ويلمزون الذين لا يجدون ما يتصدقون به إلا جهدهم، وذلك طاقتهم، فينتقصونهم ويقولون: "لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا! " سخرية منهم بهم فيسخرون منهم) [٤].

٦ – **التكاسل عن الخيرات؛** فالمنافق متكاسل عن الخيرات متقاعس عن الطاعات، إذ لا إيمان يدفعه إلى الإتيان به ولا أجر يتوقعه من ورائها، وقد صور القرآن الكريم تباطؤ المنافقين عن طاعات كثيرة مثل

❖ **التكاسل في أداء الصلاة؛** قال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}[٥]. فهم "يقومون كسالى متثاقلين، لا نشاط يحركهم ولا إيمان يبعثهم، وهذا مظهر يريدون به إظهار الإيمان، وهو يكشف عن خبيئة أنفسهم" [٦].

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٣٣٣).

(٢) انظر: تفسير الرازي (١٦/ ١١٠).

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧٩.

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ٣٨١).

(٥) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

(٦) زهرة التفاسير (٤/ ١٩١٧).

❖ **الشح والبخل**؛ فقد وصفهم القرآن الكريم بأنهم يضنون في الإنفاق الواجب كأوقات الجهاد والنوائب فهم أشحة على المؤمنين قال تعالى: {أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}[1] فوصفهم الله تعالى بأنهم أشحة على المؤمنين بالغنيمة والخير والنفقة في سبيل الله، على أهل مسكنة المسلمين؛ وذلك لما في قلوبهم من الضغن والكره للمسمين[2]. وهم لا يبخلون بما يبخلون به على المؤمنين فقط، بل يأمرون الناس بالبخل كما في سورة المنافقين {هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ}[3].

❖ **القعود عن الجهاد**؛ فهم يتثاقلون في الجهاد ويفرحون بالقعود عنه {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[4].

فتبين هذه الآيات الكريمات أن المنافقين كرهوا أن يخرجوا مجاهدين بإنفاق أموالهم؛ لأنهم بخلاء في كل ما هو خير، ولأنهم جبناء وعدم وجود باعث الإيمان وداعي الإخلاص، ووجود الصارف عن ذلك وهو ما هم فيه من النفاق، وقال سبحانه: (وكرهوا أن يجاهدوا) ولم يقل كرهوا أن يخرجوا، مع أن الكراهة ابتدأت بالتثاقل في الخروج، بل قال: (وكرهوا أن يجاهدوا) للإشارة إلى سبب عدم الخروج وهو كراهية الجهاد، وقد اتخذوا لعدم خروجهم تعلة أخرى، وهي الحر الشديد (وقالوا لا تنفروا في الحر)[5].

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: ١٩.

(2) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٣١).

(3) سورة المنافقين، الآية: ٧.

(4) سورة التوبة، الآية: ٨١، ٨٢.

(5) زهرة التفاسير (٧/ ٣٣٩٣) وفتح البيان في مقاصد القرآن (٥/ ٣٥٩).

وقد ذكر القرآن الكريم في موضع آخر عذرا واهيا يبين ما نفس المنافق من ميل عن الجهاد وهو الخشية من الوقوع في فتنة نساء الروم في غزوة تبوك كما في قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ}[1].

روى الطبري عن قتادة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه، للجد بن قيس أخي بني سلمة: هل لك يا جد العام في جلاد بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله، أو تأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجبا بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن! فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: قد أذنت لك[2]. فهذا العذر الواهي الذي لا يقنع يبين عن شخصية المنافق ومدى جبنه وعزوفه عن الخير.

٧ – **الكذب**؛ أساس النفاق هو الخداع ويعني هذا الكذب في أصل الإيمان، وهذا الكذب في أصل الإيمان {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}[3]، فهم كاذبون في أصل الإيمان أي في شهادتهم التي زعموا أنها من صميم القلب، وخلوص الاعتقاد[4].

وإذا استساغ الإنسان أن يكذب في أصل الإيمان لم يتورع عن الكذب في سائر أمور الحياة، حتى يكون الكذب علامة مميزة له يعرف بها كما في الحديث "آية المنافق ثلاث وذكر منها: (إذا حدث كذب) [5].

قال النووي: (وقوله صلى الله عليه وسلم آية المنافق أي علامته ودلالته) [6].

قال أبو العباس القرطبي: (ولا شك في أن للمنافقين خصالا أخر مذمومة؛ كما قد وصفهم الله تعالى حيث قال: وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا، فيحتمل أن يقال: إنما خصت تلك الخصال الخمس بالذكر؛ لأنها

---

(1) سورة التوبة، الآية: ٤٩.

(2) تفسير الطبري (١٤/ ٢٨٧).

(3) سورة المنافقين، الآية: ١.

(4) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (١٤/ ١٤٦)

(5) تقدم تخريجه.

(6) شرح النووي على مسلم (٢/ ٤٨)

أظهر عليهم من غيرها عند مخالطتهم للمسلمين، أو لأنها هي التي يضرون بها المسلمين، ويقصدون بها مفسدتهم، دون غيرها من صفاتهم) [١].

قال النووي: (الذي قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار أن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم)[٢].

وعلى كل فالكذب صفة المنافقين نفاقا أكبر، وهو النفاق الاعتقادي وقد توجد في المنافقين النفاق الأصغر (العملي) ولا تستلزم نفاقا يوجب الكفر.

أما وجود هذه الصفة في المنافين نفاقا أكبر فسائر مواقف المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم تشهد بذلك، فهم يكذبون للقعود عن الجهاد، ويبنون مسجد الضرار ويحلفون إن أردادوا إلا الحسنى، ويكذبون في سائر العبادات ليوهموا المسلمين بأنهم مؤمنون صالحون.

٨ – **خيانة الأمانة**، هي إحدى العلامات المميزة للمنافقين، وقد دل عليها قول النبي صلى الله عليه وسلم: (وإذا اؤتمن خان)[٣] أي تصرف على خلاف الشرع[٤]، ويدخل به الغدر بالعهد؛ لأنه ترك الوفاء بما عاهد عليه وهذا نوع من الخيانة[٥].

٩ – **الفجور في الخصومة**، ففي حديث قال (وإذا خاصم فجر) [٦] أي: مال عن الحق وقال الباطل والكذب فيمن خاصمه، وكذلك المنافق، إذا خاصم غيره، ادعى عليه ما ليس فيه[٧]، وقد مر في مواقف المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ما يدلل على ذلك، فقد نعتوا النبي صلى الله عليه وسلم بالأذل، ونعتوا الصحابة بالجبن، وألصق المنافق ابن سلول بعائشة رضي الله عنه الإفك، وكل ذلك وهو مخفٍ للخصومة فكيف إذا أبداها!

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي، دار ابن كثير، دمشق – بيروت ودار الكلم الطيب، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م (١/ ٢٥١).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ٤٧)

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٤٠٩).

(٥) شرح القسطلاني على صحيح البخاري، أحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ (١/ ١١٩).

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) شرح النووي على مسلم (٢/ ٤٨).

١٠ – **إخلاف الوعد**؛ فمن صفات المنافقين التي دلت عليها السنة النبوية، إخلاف الوعد، ففي حديث آية المنافق: (وإذا وعد أخلف)[١]، أي: (إذا وعد) بالخير في المستقبل (أخلف) فلم يَفِ بوعده[٢]. قال ابن الجوزي: (وهذا محمول على من وعد وهو على عزم الخلف، أو ترك الوفاء من غير عذر، فأما من عزم على الوفاء فعرض له عذر منعه من الوفاء فليس بمنافق)[٣].

قال القسطلاني: (أصل عمل الديانة منحصر في ثلاث: القول والفعل والنية، فنبّه على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النيّة بالخلف، وحينئذ فلا يعارض هذا الحديث بما وقع في الآتي بلفظ: أربع من كنّ فيه، وفيه: وإذا عاهد غدر إذ هو معنى قوله: وإذا ائتمن خان لأن الغدر خيانة) [٤].

١١ – **إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم**، وقد تكررت الإشارة إلى هذا الصنيع في القرآن الكريم كثيرا، ومما ذكره القرآن الكريم من إيذاء المنافقين للنبي صلى الله عليه وسلم، بالافتراء عليه كثيرا والطعن في عرضه وقد غرهم صفحه وحلمه[٥] وقد نزل في ذلك قوله تعالى: {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[٦].

ومما آذى فيه المنافقون رسول الله صلى الله عليه وسلم افتراء عليه، رمي المنافق عبد الله بن سلول عائشة رضي الله عنه بالإفك، وقد بلغ ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم حتى صعد المنبر، وشكى ذلك إلى صحابته فقال: ((يا معشر المسلمين من يعذرني من

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) شرح القسطلاني (١/ ١١٨).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٤٠٩).

(٤) شرح القسطلاني (١/ ١١٩).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٣٢٤) ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م (٢/ ٤٥٧) وزهرة التفاسير (٦/ ٣٣٥١) وفتح البيان في مقاصد القرآن (٥/ ٣٣٣).

(٦) سورة التوبة، الآية: ٦١.

رجل قد بلغ أذاه في أهل [ص:٢١٣٤] بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي)) [١].

وقد ورث أهل النفاق فيما بعد هذا العصر هذه الصفة الشنيعة، فلم تزل طوائف أخرى تؤذي النبي بعد وفاته مثل الرافضة الذين ما فتئوا يسبون زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ويسبون أصحابه. يقول أحد أئمتهم محمد باقر المجلسي: «**وعقيدتنا في التبرؤ أننا نتبرأ من الأصنام الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية والنساء الأربع: عائشة وحفصة وهند وأم الحكم ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض، وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا بعد التبرؤ من أعدائهم**»[٢].

١٢ – **السفه**، "أصل السفه والسفاهة رقة الحلوم وفساد البصائر وسخافة العقول، وخفة النهى"[٣] وهي حالة تستدعي من صاحبها التصرف على خلاف الحكمة، ولهذا كانت هذه الصفة تلائم حال المنافقين الذين رأوا البينات على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به وتضافرت أمامهم الآيات للدلالة على ذلك، فلم يؤمنوا به ولم يفتحوا قلوبهم له، بل اعتقدوا أن هذا الإيمان سفه يصم من يقبله فرد الله تعالى عليهم بنفي السفه عن المؤمنين وإلصاق هذه الصفة بهم لأنها بهم أولى للرين الذي على قلوبهم[٤]، {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ}[٥]. وقال عندما اعترضوا على تحويل القبلة: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[٦].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات، بأنفسهم خيرا} [النور: ١٢] إلى قوله: {الكاذبون} [النحل: ١٠٥] (٦/ ١٠١) برقم (٤٧٥٠) ومسلم، في كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (٤/ ٢١٢٩) برقم (٢٧٧٠).

(٢) حق اليقين، فارسي (ص ٥١٩). وقد قام بترجمة النص إلى العربية الشيخ محمد عبد الستار التونسوي في كتابه بطلان عقائد الشيعة، محمد عبد الستار التونسي، المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة (ص ٥٣).

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن (١/ ٩٤)

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١/ ٢٠٥) والتحرير والتنوير (١/ ٢٦١).

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٣.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٤٢.

وقد جاءهم هذا السفه من ضعف العقل حين فعلوا ما يعاقبون به مع ما فيه من مشقة الكتمان والجهل بأن إبطان الكفر وإظهار الإيمان لا يطول الاغترار به، ولأنهم كانوا يظنون أنفسهم عقلاء، مع ما فيما ركنوا إليه من غباء وجهل، "وشأن المنافق دائما أنه يعتقد أنه في مكانة من الفكر والتدبر، وغيره ممن يدركون الحق في سفه وحمق، فهم يريدون أن يصرفوهم عن الإيمان ليضلوهم، ويفتنوهم لولا أن يتداركهم الله برحمته، فيستنقذهم منهم"[١].

١٣ – الجبن، فالمنافق من أجبن الناس ولولا ذلك لما كتم كفره، والمنافقون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أجبن الناس عن الجهاد في سبيل الله، وليس هذا فحسب بل كانوا جبناء في مواجهة الخطوب والمحن، وقد ظهر كيف صانعوا اليهود وشايعوا الكفار في الأحزاب خشية من دوران الدائرة على المسلمين[٢]. وقد وصف الله تعالى حالهم في الجهاد فقال: {فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ}[٣].

فبين سبحانه وتعالى شدة جبنهم حتى إنهم إذا وافقوا الحرب تدور أعينهم في كل جهة يتوقعون منها الموت، كدوران عين الذي قرب من الموت، ويشخص بصره، فلا يطرف، وهذا سبيل الجبان إذا شاهد ما يخافه[٤].

١٤ – غيبة المسلمين وتتبع عوراتهم؛ لما خبثت قلوب المنافقين وخلت من الإيمان بالله وخشية عقابه ساءت أفعالهم وقبح ما يأتون به، فهان عليهم الخوض في الأعراض وغيبة المسلمين وتتبع عوراتهم، وقد نص حديث أبي برزة الأسلمي على هذه الصفقة فقال: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله

---

(١) انظر: زهرة التفاسير (١/ ١٣١).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٤٠٤).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ١٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١/ ٣١٨) وتفسير السمرقندي (٣/ ٥٣) وتفسير الماوردي، لأبي الحسن الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، (٤/ ٣٨٥).

عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»[1]، قال العظيم آبادي: (فيه تنبيه على أن غيبة المسلم من شعار المنافق لا المؤمن)[2].

١٥ – بذاءة اللسان؛ وقد نص الله تعالى على أن ألسنة المنافقين حداد على المؤمنين لأنهم يضمنون كلامهم السب والأذى أو لأنهم كانوا يرفعونها أحيانا على المؤمنين[3] قال تعالى: {فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ}[4]، وقد سبق العديد من المواقف التي أكدت على هذه الصفة في المنافقين ومن ذلك:

- ❖ الإهانة التي وجهها المنافق عبد الله بن سلول للنبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المهاجرين فقال {لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}[5].
- ❖ سخرية المنافقين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قولهم في غزوة تبوك: (ما لقرائنا هؤلاء أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء!) والتي جاءت في قوله تعالى: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦) الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}[6].
- ❖ استهزائهم بالمسلمين في غزوة بدر وقولهم: {غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ}[7].

وغيرها من المواقف التي تدل على قبح ألسنة المنافقين إلى جانب قبح سريرتهم.

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الغيبة (٤/ ٢٧٠) برقم (٤٨٨٠) وصححه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م (ص: ٦٦١).

(٢) عون المعبود في شرح سنن أبي داود، لشرف الدين العظيم آبادي، مع حاشية ابن القيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ (١٣/ ١٥٣).

(٣) انظر: تفسير السمرقندي (٣/ ٥٣) وتفسير الماوردي (٤/ ٣٨٥).

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ١٩.

(٥) سورة المنافقين، الآية: ٨.

(٦) سورة التوبة، الآيات: ٦٥ – ٦٧.

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٤٩.

١٦ – **بغض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم**، من البديهي أن يكره المنافقون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم أصحابه وهم الذين نقلوا الدين وجاهدوا في سبيله، فهم جند الإسلام وحملة الدين، وقد ورث المنافقون في العصور المتأخرة هذه الصفة فتراهم يطعنون في الصحابة ويخوضون في الفتن طاعنين في هذا ومشككين في ذلك، والهدف من وراء ذلك كله ما قاله الإمام أبو زرعة الرازي: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق, لأن الرسول ﷺ عندنا حق والقرآن حق وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهو زنادقة)[١].

فالغاية من وراء الطعن في الصحابة والبغض لهم هو هدم الأعمدة التي يقوم عليها الإسلام، فإذا تم ذلك كان التمكن من هدم الإسلام والتشكيك في وحيه.

١٧ – **الإفساد في الأرض**؛ إن المنافقين في عصر النبي – صلى الله عليه وسلم – وفيما بعده من العصور شأنهم الفساد، وقد تأكدت هذه الصفة من خلال كل ما سبق بيانه من صفاتهم، فهم قد كفروا بالحق إذ جاءهم، وأنكروا كتاب الله تعالى ورسوله الأمين، وقد عرفوه، ومشوا بالنميمة والسعاية بين الناس، وكلما أطفأ الله نارا للحرب أوقدوها، ومالئوا المشركين على المؤمنين، وإذا خرج المؤمنون للقتال عملوا على أن يهموا بالفشل، يعرفون ضعفاء المسلمين ويغرونهم بالتخلف، يبتغون الفتنة بين المؤمنين ويقلبون الأمور لإثارتها[٢].

وقد ذكر الله تعالى من أوصاف المنافقين الإفساد في الأرض فقال تعالى في سورة البقرة: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ}[٣].

قال الطبري: (وكذلك صفة أهل النفاق: مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم، وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه، وتضييعهم فرائضه، وشكهم في دين الله الذي لا يقبل من أحد عملا إلا بالتصديق به والإيقان بحقيقته، وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب، وبمظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على

---

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، المكتبة العلمية – المدينة المنورة (ص: ٤٩).

(٢) زهرة التفاسير (١/ ١٢٩).

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ١١، ١٢.

أولياء الله، إذا وجدوا إلى ذلك سبيلا. فذلك إفساد المنافقين في أرض الله، وهم يحسبون أنهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها. فلم يسقط الله جل ثناؤه عنهم عقوبته، ولا خفف عنهم أليم ما أعد من عقابه لأهل معصيته – بحسبانهم أنهم فيما أتوا من معاصي الله مصلحون – بل أوجب لهم الدرك الأسفل من ناره، والأليم من عذابه، والعار العاجل بسب الله إياهم وشتمه لهم، فقال تعالى: ﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ [1].

فكل هذه مظاهر لإفساد المنافقين في الأرض، وهي أجمع صفة يمكن أن يوصف بها المنافق؛ إذ تتضمن جميع رذائلهم وصفاتهم القبيحة.

****

وبعد، فهذه صفات المنافقين التي ذكرها القرآن الكريم والسنة النبوية، وهي صفات تنذر بخطورة هذه الطائفة التي لا تنتشر في مجتمع إسلامي وإلا وتقوض دعائمها وتفسد قواعده، ومن أجل ذلك ذكر الشرع الشريف هذه الصفات ليعرف بها المسلمون هذه الطائفة ويتقون شرهم، وفي المبحث الثالث سأعرض لأبرز منظمات ورجالات النفاق في العصر الحديث ليكون المؤمن على بينة مما يدعون إليه مما ينقض قواعد الشرع أو يقوض دعائم المجتمع.

([1]) تفسير الطبري (١/ ٢٨٩ – ٢٩٠).

المبحث الثالث

النفاق المعاصر.

مثلما كان النفاق قديما يظهر جانبا طيبا ويخفي جانبا خبيثا، فإن النفاق المعاصر على هذه الشاكلة، غير أن آليات النفاق الحديث تغيرت شيئا ما وأصبحت أكثر جرأة وقوة من من النفاق القديم، ففي حين كان المنافقون القدامى يتحاكمون إلى غير النبي صلى الله عليه وسلم في أنفسهم، فإن المنافقين المعاصرين يرون أننا لم نعد في حاجة إلى التحاكم إلى الشريعة، وأن التحاكم إليها لا يفيد بل يضر، وذلك بدعوى تنوع المجتمع الإنساني وتطوره، وللأسف أصبح هذا الهدف أساسا من أساسيات الدستور لبعض الدول وشكلت منظمات محلية أو دولية تدعو إليه باسم حقوق الإنسان، أو حقوق المثليين وأسست أحزاب سياسية في كثير من الدول العربية والإسلامية تتخذ من دعوات النفاق العقائدية والعملية نظاماً أساسياً لها، والخطورة أنها سمت عقائد المنافقين وصفاتهم مسميات حسنة لتروج على المسلمين وبين مجتمعاتهم، لذلك وجب التنبيه لمثل هذه الدعاوى والنزعات والنظم حتى لا يروج باطلهم على الأمة تحت مسميات خداعة براقة، كالحرية أو حقوق الإنسان أو التطور السياسي والاجتماعي والثقافي، مع إننا مع الحرية وحقوق الإنسان والتطور السياسي والاجتماعي والثقافي للأمة والوطن وما هو إيجابي للأمة إذا كان مراعياً للأحكام الشرعية وثوابت الإسلام ولم يخالف نصا شرعيا أما ما سوى ذلك فهو مرفوض، مهما كان الشعار الذي يسبقه، وفيما يلي عرض أهم مظاهر النفاق في العصر الحديث:

المطلب الأول: الدساتير العلمانية.

العلمانية "نزعة ترى أو تعمل على، مايقال له "الفصل بين الدين والدولة أو عن الحياة والسلوك الإنساني في المجتمع[1]. أما على مستوى الكلام المرسل أو الدعائي فقد يكون

(١) انظر: التراث والعلمانية عبد الكريم سروش، منشورات الجمل ٢٠٠٩، (ص: ٨٠) والعلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب، مصطفى باخو السلاوي، جريدة السبيل، المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م (ص: ٣٥).

استعمالها من لوازم الاستعراض الذي يريد به بعض المثقفين الإيحاء بأنهم عالمون أو علماء، أو أنهم ينتهجون العلم في التفكير أو التدبير أو الحركة[١].

وقد كانت العلمانية أحد أساليب النفاق المعاصر للحيلولة بين الشعوب المسلمة وبين دينها، فعلى الرغم من فشل الحروب الصليبية ورجوعها إلى أوطانها تجرجر أذيال الخيبة، فإن هذه الحملات اصطدمت بحقيقة مرة وهي أن إخضاع الشعوب الإسلامية لن يمكن مادامت هذه الشعوب تلهبها القوة الإيمانية وتحركها الشريعة الإسلامية، ومن هنا أخذ الغرب الصليبي يضع خطته الخبيثة بناءً على هذه النتيجة، خطة لا تقوم على إبادة المسلمين ولا على احتلال أراضيهم، وإنما تقوم على إبادة الإسلام نفسه واقتلاعه من نفوس أبنائه وضمائرهم، أو تقليص دائرته وعزله عن واقع الحياة. ومن ذلك الحين تغيرت ملامح وجوانب المعركة، فلم يعد ميدانها الرئيسي الأرض، ولكنه الأدمغة، ولم تعد وسيلتها الوحيدة السيف بل الفكر[٢].

لكن الاستعمار أدرك أن بقاء الشريعة حجر عثرة في طريقه ولابد من طرحه حتى تسلم لها خطتها، فابتدأت دوائر الاستعمار تعمل على إلغاء المحاكم الشرعية ووضع القوانين الوضعية محل القوانين الإسلامية ولو كان ذلك بالقوة[٣]. وفي سبيل تسهيل مهمتها استعانت بأناس مسلمين أغرتهم بالمناصب والجاه أو استغل مرضهم وحقدهم على الشرع الشريف، فجندتهم لخدمة أغراضها[٤]. وقد نجحت في تحقيق بعض أغراضها ونظرة سريعة على دساتير بعض الدول المسلمة تؤكد ذلك:

١ – دستور تركيا.

خرجت تركيا من الحرب العالمية الأولى بهزيمة تركيا واحتلال أجزاء كثيرة منها، فظهر كمال أتاتورك وتزعم حرب الاستقلال ولم يأت عام ١٩٢٢ إلا وقد تم طرد

---

(١) عن العروبة والإسلام، عصمت سيف الدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م (ص: ١٨٧).

(٢) انظر: شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧، (ص: ٣) وأجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حسن الميداني، دار القلم – دمشق، الطبعة : الثامنة ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م (ص: ٧٥٠).

(٣) انظر: دفاع عن الشريعة: علال الفاسي: الفصل الثانى عشر والعلمانية – نشأتها وتطورها (ص: ٥٣٩).

(٤) انظر: أجنحة المكر الثلاثة (ص: ٧٥٠) وأهداف التغريب في العالم الإسلامي، أنور الجندي، الأمانة العامة للجنة العليا بالأزهر الشريف، (ص: ١٤ – ١٦).

المحتل من البلاد، ومن هذه اللحظة اكتسب شعبية كبيرة مكنته من التجرؤ عن فصل الخلافة عن السلطنة، وأعلن نفسه رئيسا لتركيا.

وجدت الدول الغربية في كمال أتاتورك فرصة سانحة للقضاء على الدولة الإسلامية، فباركت صنيعه واعترفت به رئيسا لتركيا، فلم يأت عام ١٩٢٣ إلا وقد ألغى الخلافة وأعلن في ٢٩ أكتوبر/تشرين الأول من نفس العام ولادة الجمهورية التركية وجعل أنقرة عاصمة للدولة الجديدة بدلا من إسطنبول، وبدأ سلسلة إجراءات غير من خلالها هوية تركيا بالكامل، فأعلن تركيا دولة علمانية ثم أخذ يحارب مظاهر التدين، فألغى الكتابة باللغة الغربية وحلت التركية محل الأذان والقرآن باللغة العربية وفرض القبعة الأوروبية التي سالت لأجلها الدماء، وألغيت الأعياد الإسلامية، وتم إكراه النساء تقليد المرأة الغربية في كل شيء وألغي التعليم الديني وألغيى المحاكم الشرعية، وتبنى التقويم الغربي، وحارب مظاهر الحشمة عند النساء وأجبر النساء على تقليد المرأة الغربية في كل شيء، واستخدم القوة والإجبار في إحلال هذه المظاهر محل المظاهر الإسلامية[١].

ومنذ ذلك الحين صارت تركيا دولة علمانية، ليس للدين فيها إلا جملة محدود من الشعائر الجوفاء، أما الشريعة الإسلامية فليس لها وجود والمنادي بتطبيقها يعرض نفسه للعقوبة التي قد تصل إلى الإعدام، وهذا أقصى ما يطمح إليه المنافقون في كل عصر.

وعلى الرغم من خفة حدة هذه المعضلة وزوال التعصب بنشأة الأحزاب المحافظة كحزب العدالة والتنمية الذي يحكم الآن برئاسة الطيب أردوغان، إلا أن تصدر هذا الحزب لم يغير شيئا من الهوية العلمانية للدولة، بل إن الحزب نفسه قبل هذه الهوية وسعى مرارا وتكرارا إلى طمأنة التيارات الأخرى بمن فيهم العلمانيين الكماليين بتأكيد إبعاد أي دور للدين في الحياة السياسية وإعلانهم المتكرر التزامهم العلمانية بوصفها هوية الدولة[٢].

---

(١) انظر: تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان، فصل تركية والإسلام في الغرب، ترجمة نبيه أمين فارس وزميله، ط٦، بيروت ١٩٧٤م، (١٨١، ١٨٦)، والصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، لأبي الحسن الندوي، القاهرة (٥٩ – ٦٣).

(٢) انظر: الديمقراطية المحافظة ومستقبل تركيا العلمانية، عماد قدورة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات، ٢٠١٤ (ص: ١٠).

وتنصّ مبادئ الحزب في القسم الثاني والرابع منه بوضوح على أنه يؤمن بالقرارات العامّة السابقة بهدف الوصول إلى الحضارة الحديثة التي تمّ وصفها من طرف مصطفى كمال أتاتورك، أي ما ورد في المادة الثانية للدستور والتي تنص على أن تركيا جمهورية ديمقراطية علمانية اجتماعية.

فإذا كانت هذه هي المبادئ التي يعمل وفقها الحزب، فلا ريب أنه ليس للدين دور في الحياة الاجتماعية، مهما قيل عن هذا محافظة هذا النظام العلماني ومدى احترامه للدين، فهو مجرد شعور روحي لا يتعدى الفرد ولا يتجاوز القيام ببعض العبادات وحتى هذه العبادات لا ترى الدولة ضرورة للإتيان بها، وفي الدولة التركية التي يدين أغلب سكانها بالإسلام يسمح للمسلمة بالتزوج من غير المسلم، وممارسة الجنس خارج مؤسسة الزواج، ويتم التسوية بين الذكر والأنثى في الميراث وغير ذلك مما ترفضه الشريعة الإسلامية.

والفرق الوحيد بين العلمانية التي جاء بها مصطفى كمال أتاتورك وبين العلمانية الحالية في ظل قيادة حزب العدالة والتنمية: أن علمانية أتاتورك كانت ترفض وجود الدين، بخلاف علمانية حزب العدالة والتنمية التي ترفض وجوده إلا في السياسة أو القوانين المتعلّقة بالبلاد.

٢ – دستور تونس:

لا ينص دستور تونس صراحة على أن العلمانية أي: الفصل بين الإسلام والحياة الاجتماعية في هذه البلاد هي القاعدة التي يقوم عليها نظام الحكم فيها، ولكنه في الوقت نفسه لا ينص على أن الشريعة الإسلامية هي مصدر الحكم، بل لا ينص على أكثر من أن الإسلام دين هذه الدولة، وإن أدنى نظرة لتاريخ الدستور في هذه البلاد وتعديلاته المتكررة لتدل على أن الحياة في هذه البلاد تخضع لعلمانية بارزة وأن هذه البلاد تنجرف بسرعة خاطفة للاعتراف بالعلمانية كنظام للحكم.

بحلول عام ١٩٥٦؛ حصلت تونس على استقلالها من المُستَعمِرِ الفرنسي. يُعدّ الحبيب بورقيبة أول رئيس للجمهورية التونسية حيثُ حكمها في الفترة ما بين ١٩٥٦ – ١٩٨٧. واصلت الحكومة التونسية ما بعد استقلالها برنامج العلمنة. إلا أن بورقيبة كان حريصا على تحديد هذه التغييرات في إطار من الحداثة دون تجاوزٍ لثوابت الإسلام أو صُنعِ قطيعة معه، وأبرز ما قام به في برنامج العلمنة:

١ – الاستعاضة عن التعليم الديني في جامعة الزيتونة بكلية اللاهوت المتكاملة في جامعة تونس.

٢ – حظر فرض الحجاب على المرأة.

٣ – تقليص نفقات صيانة المساجد ورواتب الدعاة.

٣ – إلغاء تعدد الزوجات وجعل الطلاق خاضعًا للمراجعة القضائية.

بعد زيادة المشاكل الاقتصادية وظهور الحركات الإسلامية في عام ١٩٧٠؛ أعيد إحياء التعليم الديني في العديدِ من الجامعات وعلى رأسها جامعة الزيتونة، وقلّت وتيرة علمنة الدولة بعد ظهور حركات إسلامية قويّة نوعًا ما؛ وفي أعقاب النضال ضدّ بورقيبة ثم ضدّ زين العابدين بن علي؛ برزَ الإسلاميون لكنّهم تعرضوا للقمع والمعارضة كما تمّ مضايقتهم وتعريض أعضائهم للتعذيب والنفي(١).

وبحلول ١ مارس من عام ٢٠١١؛ انهارَ نظام زين العابدين بن علي وتم تشكيل الحكومة المؤقتة من قِبلِ حركة النهضة وهو حزب سياسي إسلامي معتدل. غير أن هذا الحزب نفسه لم يسع إلى مقاومة العلمانية بل سعى إلى إيجاد نموذج وسط يقبل العلمانية إلى جوار الإسلام، يقول راشد الغنوشي رئيس الحزب خلالَ مُقابلة معه في تركيا في عام ٢٠١١: «نحن بحاجة إلى الديمقراطية والتنمية في تونس ونحن نعتقد بقوة بالتوافق بين الإسلام والديمقراطية، بين الإسلام والحداثة. لذلك نحن لسنا بحاجة للعلمانية في تونس»(٢) وهي في رأيي عبارة ذكية لتبرير قبول العلمانية.

بحلول ٢٠١٧ زاد الميل نحو العلمانية، عندما أقر البرلمان التونسي قانونا يسمح للآنسة التونسية بالزواج من شخص غير مسلم، بعدما كان هذا محظورًا منذ عام ١٩٧٣. والذي بررره الرئيس الحالي الباجي السبسي بأن هذا الحظر ينتهكُ الدستور التونسي نفسه، هذا ويقوض المساواة الفعلية بين الرجال والنساء بحسب قوله، بالإضافة إلى ذلك؛ فالبرلمان التونسي يعمل على تغيير حقوق الميراث من خلال المساواة بين

(١) انظر: العلمانية في تونس على الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9_%D9%81%D9%8A_%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B3#cite_note-٣١

(٢) الحوار باللغة الإنجليزية على الرابط:

http://www.hurriyetdailynews.com/no-need-for-secularism-in-tunisia-ghannouchi-٩٩٠٨

الرجال والنساء وكذا الدعوة إلى إلغاء عقوبة الإعدام نهائيًا والدعوة كذلك إلى إلغاء تجريم المثلية الجنسية[1].

وهذا يعني أننا قريبا قد نجد الدستور التونسي ينص على المساواة في الميراث وإباحة المثلية ورفض القصاص في القتلى، وليس بعد هذه القوانين مجافاة ومنافاة لأحكام الشريعة الإسلامية، وهذه أبرز الغايات التي كان يطمح لها أعداء الإسلام، وهي الآن تتم كما كان مخططا لها منذ عقود طويلة، غير أنها الآن تتم برضا ومباركة من المسلمين أنفسهم، وهذا يعني نجاح خطط هؤلاء المنافقين في تحييد الشريعة الإسلامية.

المطلب الثاني: رجال العلمانية من المسلمين والعرب.

كان النفاق المعاصر أذكى خطط الاستعمار للسيطرة على بلاد المسلمين، وكانت أذكى آلية لترويج هذا النفاق هي استعمال بعض أبناء المسلمين، ليكونوا دعاة لإقناعهم بأن الاسلام دين "لله"، وليس نظاماً للحياة، وحبذا لو كان الداعية من علماء الدين الاسلامي الذين اعتاد عامة المسلمين أن يستمعوا إليهم ويثقوا في صحة ما يقولون، ليكون "إمام" المذهب العلماني. المؤسس على الكتاب والسنة، وقد كان، فاستصنع الاستعمار أبواقا كثيرة أخذت تدعو إلى العلمانية، منها:

علي عبد الرازق:

ظهر الأستاذ علي عبد الرازق بكتابه الإسلام وأصول الحكم، في آخر الربع الأول للقرن العشرين الميلادي بعد إعلان إلغاء الخلافة بعام واحد أي سنة ١٩٢٥، وادعى فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤسس دولة وأن الإسلام لا علاقة له بأمور الحكم، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان إلا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين لا تشوبها نزعة ملك ولا دعوة لدولة.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: (خلاصة هذه البدعة: أنه ليس للإسلام خلافة ولا إمامة ولا حكومة ولا تشريع سياسي ولا قضائي , وأنه دين روحاني محض كدين النصارى ..., والدين نفسه لم يوجب أن تكون للعرب ولا لغيرهم من المسلمين دولة ولا وحدة,

(١) انظر:

١ - https://www.alhurra.com/a/tunisia-equality-women-rights/٣٨٣٧٧٦.html

٢ - http://alkhaleejonline.net

بل لكل فريق من المسلمين عربهم وعجمهم أن يقيموا لأنفسهم حكومة يرضونها، ودين الإسلام لم يقيدهم في ذلك بقيد ما , بل هو بريء من كل ما عزوه إليه من ذلك) [١].

ويقول: (فخلاصة رأيه أن كل ما ثبت بالسنة أو الإجماع أو القياس من الأحكام الشرعية لا يجب على أحد من المسلمين العمل به، وأن أحكام القرآن نفسها لا يجب العمل بنصوصها ومدلول ألفاظها، وإنما يبحث المسلمون ما داموا يدَّعون الإسلام عن مرمى المحرمات منها فيراعونه، وعن حكمة الواجبات فيراعونها , وأما الجائزات فلهم أن يحرموا منها ما أحله الله أو يوجبوه بحسب ما يتراءى لحكوماتهم في كل زمان) [٢].

ولقد كان هذا الكتاب سببا في معركة فكرية حامية الوطيس، ففي نفس عام صدور الكتاب اجتمعت هيئة كبار العلماء وأخرجت المؤلف من زمرة العلماء، وأسقطت عنه كل الوظائف الدينية، وقضي على الأستاذ الناشئ بالعزلة الشعورية التي ظل يعاني ألمها إلى أن مات[٣]، وتناول أفكاره بالرد والتفنيد كثير من العلماء الأفاضل على رأسهم:

١ – الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه: نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم.

٢ – والشيخ محمد بخيت المطيعي في كتابه: حقيقة الإسلام وأصول الحكم.

٣ – والشيخ محمد رشيد رضا، والذي رد عليه في مقالات متعددة في المنار، والذي لوح بمتابعة علي عبد الرازق لأحد الغربيين ويقرر أنه لم يزد على أن كرر أفكاره[٤].

وإذا كانت هذه الردود قد نجحت في دحض مزاعم على عبد الرازق، وفندت أقواله وكانت سببا في ميلاد عدة مؤلفات أصيلة في التعريف بالحكم في الإسلام وأصوله وأحكامه ونوازله، فإنه من جهة أخرى قد كان ماء الحياة لكثير من العلمانيين، الذين جعلوا من هذا الكتاب دستورهم وراحوا يتناولونه بالشرح والتقريظ والنشر والتلخيص، وأضافوا إليه كثيرا من الحجج والأدلة وأسسوا عليه مذهبا نفاقيا هو مذهب انعزال الإسلام عن الحكم والتشريع، وترجم إلى اللغات الأجنبية، وأصبح مرجعاً معتمداً لدراسات الإسلامية هناك، وقام بتقريظه والثناء عليه كل المهتمين بهذه الدراسات في

---

(١) مجلة المنار، (٢٦/ ١٠٠).

(٢) مجلة المنار (٢٦/ ١٠٠).

(٣) مجلة المنار (٢٦/ ١٠٠).

(٤) انظر: معركة الإسلام وأصول الحكم، محمد عمارة، دار الشروق، ط١، ١٩٨٩ م (ص: ٦٠) وما بعدها.

الغرب، وظهرت آثاره في كتاباتهم، وهلل له سماسرة النفاق المعاصر من الكتاب والصحفيين باعتبار مؤلفه عالماً متحرراً متنوراً، ووضعه البعض على رأس مرحلة فكرية عصرية ... إلخ. ووجدت الأحزاب السياسية فيه ضالتها المنشودة، فلم تعد تتحرج من إعلان انتمائها للاتجاهات السياسية اللادينية شرقيها وغربيها، وبراءتها من الدين والمتدينين[١].

ومن رحم هذا الكتاب ظهرت مسوخ فكرية علمانية كانت أكثر تطرفا في مناقشة قضايا الشريعة الإسلامية وصلاحيتها للحكم أبرزهم:

٢ – فرج فودة.

كان فرج فودة من أشد العلمانيين مناهضة للشريعة الإسلامية، ولتدخل الإسلام في مناحي الحياة المختلفة، فقد كان يدعو مرارا إلى فصل الدين عن الدولة، ويرى أن الدولة المدنية لا شأن لها بالدين، وتشابهت أفكاره كثيرا مع أفكار علي عبد الرازق، إلا أنه قد حرص على تدعيم هذه الأفكار بكثير من الشبهات والمواقف التي راح يخترعها أو يلتقطها دون محاولة نقدها نقدا علميا. ويمكن اختصار برنامجه في نقطة واحدة هي: **(كراهية تطبيق الشريعة)**. ومن مظاهر كراهيته لهذه الشريعة وعدائه لها:

١ – أنه يعتبر الدعوة إلى تطبيق الشريعة دعوة إلى قلب نظام الحكم[٢].

٢ – إنكار مصادر التشريع، فيرى أنه لا حجة في القرآن والسنة بل الحجة في الدستور والقانون[٣].

٣ – سخريته مرارا من الحدود والعقوبات المقدرة ودعواه استحالة تطبيقها في العصر الحديث[٤].

٤ – اتهامه لبعض رموز الإسلام بتهم شنيعة، ليخرجهم عن حد العدالة،كاتهامه ابن عباس باختلاس مال المسلمين، بمساعدة أخواله[٥]، واتهامه من عرف بالغني من

---

(١) العلمانية – نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، دار الهجرة (ص: ٥٨٣).

(٢) انظر: كتابه "تكون أو لا نكون"، دار ومطابع المستقبل، الطبعة الثانية ٢٠٠٤، (ص: ٥٣).

(٣) انظر: كتابه: دوائر الخوف، قراءة في خطاب المرأة. المركز الثقافي العربي الدار البيضاء وبيروت الطبعة الرابعة، ٢٠٠٧، ص: (١٢٣).

(٤) انظر: كتابه "تكون أو لا نكون" (ص: ٧٨).

(٥) انظر: "كتابه الحقيقة الغائبة"، دار الفكر، ط٣، ١٩٨٨ (ص: ٢٧).

الصحابة قبل الإسلامي – كعثمان والزبير وأبي بكر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف – بتكديس ثروات ضخمة، مع أنهم لم يكونوا يملكونها حسب زعمه قبل الإسلام، ودعواه أن جمع المال على هذا النحو لا يستقيم مع نقاء الإيمان وصفاء السريرة إلا بجهد مجهد وجهيد[١].

٥ – دعواه أن تطبيق الشريعة الإسلامية لا يجلب إلا الخراب والدماء والقتل والنهب والإبادة، مستيعنا في التدليل على ذلك بنصوص ملفقة لأحداث مأساوية عن الخلفاء الأربعة وخلفاء بني أمية وبني العباس، وفي نفس الوقت يبشرنا بعلمانيته المنقذة لنا من الضلال، والعاصمة لنا من كل الشرور والآثام[٢].

ولست هنا بصدد الرد على هذه الترهات فإن أدنى معرفة بحال الصحابة وما كانوا عليه من العدل مع الرعية والحرص على تطبيق شرع الله يدحض ذلك أيما دحض، ولكني أبين إلى أي مدى نجح النفاق المعاصر في تحقيق ما فشل فيه النفاق القديم، وكيف صار يستخدم من أبناء المسلمين من يحقق له أهدافه بكل بساطة وسهولة.

وهناك كثيرون من أبناء العرب مثل محمد أركون ونصر حامد أبو زيد وسيد القمني، وغيرهم ممن تولوا عن النفاق الغربي مهمة هدم الشريعة، وعزل الإسلام عن الحكم والتشريع لا يتسع المقام لذكر إفكهم.

المطلب الثالث: الأحزاب العلمانية.

تؤدي الأحزاب العلمانية دورا كبيرا في تحقيق أغراض النفاق المعاصر؛ إذ هي دائما ما تدعو إلى تجنيب الشريعة الإسلامية وإبعادها عن الحياة الإنسانية، وبعض هذه الأحزاب شن حربا ضروسا على الإسلام، عندما ساعدته الظروف على الوصول إلى الحكم، وفيما يلي أبرز الأحزاب العلمانية في البلدان الإسلامية.

١ – **حزب الشعب الجمهوري**؛ تأسّس حزب الشعب الجمهوري في عام ١٩٢٣ تحت اسم "الفرقة الشعبية" من قبل مصطفى كمال أتاتورك مؤسس الجمهورية التركية، وحكم البلاد لوحده لمدة ٢٧ عاما، وقد تقدم القول فيما فعله كمال أتاتورك حينما وصل إلى الحكم، وعلى كلٍّ فإن شعار الحزب يتكون من ستة أسهم تشير إلى؛ الجمهورية، الشعبية، القومية، العلمانية، الدَّولانية والثورة.

---

(١) انظر: كتابه "الحقيقة الغائبة" (٢٤ – ٢٥).

(٢) انظر: العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام (ص: ٣٣٢).

ويترأس الحزب الآن "كمال كلتشدار أوغلو" الذي تم اختياره كرئيس للحزب في عام ٢٠١٠. وما زال الحزب يمثّل المعارضة الرئيسي في البلاد، وينتقد الحزب الحاكم بسبب بعده عن العلمانية، كما يرفض الحزب النظام الدراسي المتسلسل في تركيا الذي يعدّه بمثابة فتح الطريق أمام المدارس الشرعية(١).

٢ - **حزب نداء تونس**؛ هو حزب سياسي تونسي ذو أيديولوجية علمانية وسطية ليبرالية تؤمن بفصل الدين عن السلطة، أعلن عن تأسيسه الباجي قائد السبسي سنة ٢٠١٢، والذي ظل الباجي رئيسا للحزب حتى فوزه بالانتخابات الرئاسية التونسية ٢٠١٤ ليصبح رئيس الجمهورية التونسية ويستقيل من مصبه الحزبي حسب أحكام الدستور التونسي. وقد وصلت تونس بسبب هذا الحزب وآراء مؤسسه إلى إباحة تزوج المسلمة من غير المسلم، وهم في صدد إعداد مشروع لمساواة المرأة بالرجل في الميراث(٢)!!

٣ - **حزب البعث في العراق وسوريا**؛ حزب البعث حزب قومي علماني يدعو إلى الانقلاب الشامل في المفاهيم والقيم العربية لصهرها وتحويلها إلى التوجه الاشتراكي، تم تأسيس الجزب في ١٩٤٧ م تحت اسم (حزب البعث العربي) في دمشق، وتحول اسمه إلى حزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٥٢ بعد اندماج الحزب العربي الاشتراكي بحركة البعث العربي، وصل حزب البعث إلى سدة الحكم في العراق عبر سلسلة دموية من الانقلابات والإعدامات المتوالية، وقطع كافة الروابط بين العروبة والإسلام.

وقد اعتمد هذا الحزب مبادئ الماركسية، الخلاف الوحيد بينهما أن اتجاهات الماركسية أممية أما البعث فقومي وفيما عدا ذلك فإن الفكار الماركسية تمثل العمود الفقري في فكر الحزب ومعتقده وهي لا تزال كذلك رغم انهيار البنيان الماركسي وسقوط الاتحاد السوفيتي.

---

(١) انظر:

http://www.turkpress.co/node/٥٥٤٨

(٢) انظر: نداء تونس على الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٩%٨٦%D٨%AF%D٨%A٧%D٨%A١_%D٨%AA%D٩%٨٨%D٩%٨٦%D٨%B٣

ولقد كان هذا الحزب واجهة انضوت تحته كل الاتجاهات الطائفية (درزية – نصيرية – إسماعيلية) وأخذ هؤلاء يتحركون من خلاله بدوافع باطنية يطرحونها ويطبقونها تحت شعار الثورة والوحدة والحرية والاشتراكية والتقدمية وقد كانت الطائفة النصيرية أقدر هذا الطوائف على استغلال الحزب لتحقيق أهدافها وترسيخ وجودها(١).

المطلب الرابع

منظمات حقوق الإنسان.

تعتبر منظمات حقوق الإنسان أحد أخطر الأسلحة التي استعملها النفاق المعاصر، فهي ترفع شعارات رفع الظلم ووضع الحد لمعاناة البشرية، ولكنها تخفي أهدافا خبيثة ترمي من ورائها إلى فتح المجال للطعن في الشريعة وفتح الباب واسعا للخروج منها، وهي إذ تفتح المجال للطعن في الشريعة ونقدها بالأفكار الحديثة، فإنها تحاول جاهدة أن تحارب نظام الأسرة بتأليب المرأة على الرجل والتنفير من نظام القوامة تمهيدا لهدمها وتمزيق تماسكها ثم نشر نزعات الفجور والشذوذ لسلخ المجتمع الإسلامي عن أخلاقه وعاداته الإسلامية، وفيما يلي عرض لبعض أمثلة هذه المنظمات ودورها الخطير على المجتمع الإسلامي:

– منظمة هيومن راتيس ووتش.

تعد هذه المنظمة من أبرز المنظمات الفاعلة في مجال حقوق الإنسان، وتزعم هذه المؤسسة أن رسالتها هي الدفاع عن حقوق البشر في شتى أنحاء العالم، ومواجهة الانتهاكات وكشف الحقائق على نطاق واسع، والضغط على من في السلطة من أجل احترام الحقوق وإعلاء العدالة، وحماية الكرامة الإنسانية(٢).

وقد تبدو هذه الرسالة في ظاهرة رسالة سامية هدفها رفع الآلام والمعاناة عن كاهل المعذبين والمستضعفين، إلا أن مراقبة سلوك هذه المنظمة وما تقوم به من حملات ومبادرات يظهر جليا أن هناك أهدافا خبيثة وراء هذه الحملات، لا يمكن أن تكون نتائجها في صالح الإنسانية، ولا يمكن أن تحافظ على تماسك المجتمعات المستهدفة بهذه الحملات. وأخطر الملفات التي تطرقت إليها هذه المنظمة هي قضية تغريب المرأة

(١) انظر: حزب البعث نشأته وتطوره ضمن موسوعة مقاتل من الصحراء على الرابط:
http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia٢١/Hezb-Bath/index.htm

(٢) https://www.hrw.org/ar/mn-nhn

تمهيدا لهدم الأسرة المسلمة، وقضية نشر الشذوذ الجنسي تمهيدا لهدم المجتمع بأسره وتمييعه.

١ – ملف المرأة.

أبرز ما يذكر لهذه المنظمة في مجال تغريب المرأة حملتها ضد تشريع الولاية، فمنذ ٢٠٠٨ وهذه المنظمة تقوم بحملات متكررة على تشريع الولاية وإلصاق العيوب به، وقد ذكرت في بعض تقاريرها أنه "يُقوّض حقوق المرأة الأساسية، وقدرتها على تحقيق رؤيتها للمستقبل"(١).

إن الهدف ليس تحرير المرأة، فلم تكن المرأة منقوصة الحرية في الإسلام بل الإسلام بشهادة الغربيين أنفسهم قد أعلى لواءها وأعطاها حقوقا كثيرة لم تعطها أياها أعظم النظم والفلسفات، وتشريع الولاية نفسه يضمن الحفاظ على حياة المرأة في السفر ويضمن لها الكفء في الزواج، ولكن الهدف الحقيقي لهذه المنظمة وغيرها هو هدم نظام الأسرة، وإيقاع المرأة في دائرة الانحلال الخلقي وبؤرة الفساد الأخلاقي، فعندما يكون لها الحق في السفر دائما سيكون لها الحق في الاختلاط المحرم، وقد تتأثر ببعض النظم والثقافات فتقع في براثن التبرج والسفور، وقد تقيم علاقات خارج إطار الزواج، ثم إذا تزوجت واغترَّت بحريتها قد تطلب الطلاق بدون بأس انجرافا وراء شعور زائف أو عاطفة وهمية، فأي خطر على الأسرة أكبر من ذلك!.

٢ – ملف الشذوذ الجنسي.

لم تكتف هذه المنظمة بإغراء المرأة بالانحلال رغبة في هدم التماسك الأسري، بل تبنت حملات أخرى لإشاعة الفاحشة في المجتمع العربي والإسلامي بأسره، فأطلقت – بالشراكة مع المؤسسة العربية للحريات والمساواة – حملة "لست وحدك" للدفاع عن المثليين وثنائيي الميول الجنسية والمتحولين جنسيا في الدول العربية، وإخراجهم من العزلة المفروضة عليهم في مجتمعاتهم حيث يهددون بعقوبات قضائية، ومن خلال هذه الحملة منحت الناشطين المثليين وثنائيي الميول الجنسية والمتحولين جنسيا العرب، مساحة أوسع للتعبير وتم جمع شهادات ٣٤ ناشطا من المثليين والمثليات وثنائيي الميول

(١) https://www.hrw.org/ar/news/٢٠١٦/٠٧/١٦/٢٩٢٠٨٣

الجنسية والمتحولين جنسيا عبر ١٦ بلدا عربيا، وتم نشرها في سلسلة تسجيلات مصورة على شبكة الإنترنت(١).

ولم يكن اختيار هذه الحملة لهؤلاء المشاهير اعتباطا، بل هذا الاختيار وراءه الحرص على انتشار هذه الدعوى في أوساط هؤلاء المشاهير، وبين الذين يتابعونهم ويتأثرون بآرائهم والذين تقدر أعدادهم بالملايين، ومعظمهم شباب يتسم بالنزق والتهور وحب التجربة وفي هذا المخطط من المكر والخبث ما فيه.

- شبكة الدعم على فيسبوك (NOS).

تعد هذه الشبكة من أخطر المنظمات الداعمة للشذوذ الجنسي لانتشارها في موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، والذي قد يتجاوز عدد المشتركين فيه ٢ مليار مشترك، يحرصون دائما على التواجد يوميا على هذا الموقع، وتتكون هذه الشبكة من ست منظمات رائدة في الدفاع عن الشذوذ الجنسي بكل أنواعه (السحاق واللواط والتحول الجنسي)، وتهدف هذه المنظمات إلى تحقيق المساواة للمثليين، وتعزيز صحتهم النفسية وتحقيق الانسجام بينهم وبين الأسوياء في المجتمع، من خلال تكرار إثارة الحوار حول المثلية الجنسية لإحداث التغيير الثقافي وتسهيل قبول ثقافة المثلية الجنسية في المجتمعات الإنسانية، وعلى رأسها المجتمعات الشرقية والإسلامية التي تناهض هذه الظاهرة وترفضها بشدة(٢)، إن هذا المخطط يهدف إلى جعل المثلية ثقافة مثل أي ثقافة ويعني ذلك إمكان تبنيها إما رضاء بها أو محاولة تبنيها كنزعة، فهو لا يهدف إلى مجرد قبول الآخر الشاذ بل يهدف إلى صناعة نماذج جديدة تدخل إلى حظيرة الشذوذ بحجة أنه مشروع ومقبول.

- جمعية شمس التونسية.

إمعانا في تلويث الثقافة الإسلامية وضربها في مقتل وإشاعة ثقافة الشذوذ والانحلال قامت هذه الجمعيات النفاقية باصطناع أذرع لها في البلدان العربية، ومن هذه الأذرع "جمعية شمس لحقوق المثليين" والتي تأسست في تونس ١٧ مايو ٢٠١٥، وسجلت قانونيا في ١٨ مايو ٢٠١٥ بموجب القانون التونسي، وتركز المنظمة على عدم تجريم

(١) https://www.france٢٤.com

(٢) https://www.facebook.com/help/٢٠٢٩٢٤١٥٦٤١٥٧٨٠

المثلية الجنسية، والدفاع عن حقوق الأقليات وتوفير بيئة آمنة بغض النظر عن ميولهم الجنسية أو اختلافهم بين الجنسين.

وتسعى هذه المنظمة الخبيثة إلى نشر ثقافة الشذوذ الجنسي بكل وسيلة، ولهذا أطلقت الجمعية في ١١ ديسمبر ٢٠١٧ قناة راديو إنترنت، والتي تُعنى بقضايا ومشاكل المثليين في تونس والوطن العربي، وكان هذا الراديو قد تلقى دعما خاصا من السفارة الهولندية في تونس، ورحب السفير هانس فان فولتن بنجاح المشروع.

وفي خطوة أكثر مكرا تسعى هذه المنظمة إلى إيجاد البيئة القانونية التي تعترف بالمثلية، وتحسين الوضع الاجتماعي للمثليين والمتحولين جنسياً ومزدوجي الميول الجنسية في تونس[١]، ومن الواضح أنه إذا تم الاعتراف القانوني بهذه الظاهرة الشاذة فإن ذلك الاعتراف كفيل بالقضاء على نقاء المجتمع وتماسك الأسرة.

(١) https://ar.wikipedia.org/wiki

خاتمة:

من خلال ما ذكرته الدراسة من مباحث ومطالب أقرر النتائج والتوصيات التالية:

أولا: النتائج.

- ❖ أن النفاق في الاستعمال الشرعي يطلق على إظهار الإسلام وكتمان الكفر، وأنه بالإضافة يشمل قسما آخر، فيكون النفاق منقسما إلى قسمين؛ الأول: هو الأول هو النفاق الاعتقادي الذي يكفر به صاحبه، والثاني هو النفاق العملي الذي يتمثل في اختلاف السر والعلانية ولا يصل بصاحبه إلى الكفر.
- ❖ أن النفاق أمر في غاية الخطورة سواء على الفرد أو المجتمع، فخطره على الفرد في أنه قد يصل به إلى الكفر فيكون من أهل النار، أما على مستوى المجتمع فخطر النفاق قد يصل إلى هدم الدين بالكلية وعزله عن الحياة، وله أساليب متعددة ينفذ بها إلى هذا الغرض منها إثارة الشبهات والتأويل العبثي للنصوص وتحريف الدين وتلويثه بالمعتقدات الفاسدة.
- ❖ أن الشرع الشريف قد ذكر بعض صفات المنافقين ليعرف بها المسلمون هذه الطائفة ويتقون شرهم،، حتى تبقى هذه الصفات حاضرة في أذهان الأمة لتحذر من المنافقين في كل عصر ومصر، وإن لم يهتم بتفصيل الأسماء؛ لأن الأجيال تتغير وتبقى الصفات ثابتة تتوارثها أجيال المنافقين.
- ❖ عرضت الدراسة في المبحث الثالث لوجوه النفاق المعاصر التي تمثلت في الدساتير العلمانية، وبعض مروجي النفاق من العلمانيين المتأخرين، وبعض الأحزاب العلمانية في العالم الإسلامي، والمنظمات الحقوقية التي تروج لما يهدم أصلا من أصول الدين.

ثانيا: التوصيات.

- ❖ توجيه الدراسات الأكاديمية لدراسة المنظمات الحقوقية التي تتخذ الأهداف الإنسانية النبيلة تقية للقضاء على أصل من أصول الاجتماع الإسلامي والأخلاق الإسلامية.

- ❖ توجيه جهود المؤسسات الشرعية كالجامع الأزهر الشريف لعمل موسوعة إلكترونية ترصد الدعاوى العلمانية المعاصرة وتبين منشئها وخطرها على نظام الحياة الإسلامية وتفندها تفنيدا علميا.

المصادر والمراجع

١) الإبانة الكبرى لابن بطة، تحقيق: رضا معطي، وآخرون، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

٢) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، للبوصيري، دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم

٣) دار النشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٤) أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حسن الميداني، دار القلم – دمشق، الطبعة : الثامنة ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٥) أهداف التغريب في العالم الإسلامي، أنور الجندي، الأمانة العامة للجنة العليا بالأزهر الشريف.

٦) تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان، فصل تركية والإسلام في الغرب، ترجمة نبيه أمين فارس وزميله، ط٦، بيروت ١٩٧٤م.

٧) تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

٨) تاريخية الفكر العربي والإسلامي، مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي ترجمة هاشم صالح الطبعة الثالثة ١٩٩٨.

٩) التحرير والتنوير، لابن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

١٠) التحفة الربانية في شرح الأربعين حديثا النووية، لإسماعيل بن ماحي السعدي، مطبعة دار نشر الثقافة – الإسكندرية، الطبعة: الأولى، ١٣٨٠ هـ.

١١) تخريج أحاديث الإحياء، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٢) التراث والعلمانية عبد الكريم سروش، منشورات الجمل ٢٠٠٩.

١٣) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦.

١٤) تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة – ١٤١٩ هـ.

١٥)تفسير ابن جزي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ه.
١٦)تفسير ابن كثير، لابن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.
١٧)تفسير البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
١٨)تفسير الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.
١٩)تفسير الطبري، لابن جرير الطبري، تحقيق: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطَّيَّار، دار ابن الجوزي، الطبعة: الثامنة، ١٤٣٠ ه.
٢٠)تفسير الماوردي، لأبي الحسن الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
٢١)تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.
٢٢)تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
٢٣)جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
٢٤)حق اليقين، فارسي وقد قام بترجمة النص إلى العربية الشيخ محمد عبد الستار التونسوي في كتابه بطلان عقائد الشيعة، محمد عبد الستار التونسي، المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة.
٢٥)الحقيقة الغائبة"، فرج فودة، دار الفكر، ط٣، ١٩٨٨.
٢٦)حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني، مطبعة السعادة، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.
٢٧)دفاع عن الشريعة، علال الفاسي، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ٢٠١١.
٢٨)دوائر الخوف، نصر حامد أبو زيد، قراءة في خطاب المرأة. المركز الثقافي العربي الدار البيضاء وبيروت الطبعة الرابعة، ٢٠٠٧.

٢٩)الديمقراطية المحافظة ومستقبل تركيا العلمانية، عماد قدورة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات، ٢٠١٤.
٣٠)زاد المسير في علم التفسير، عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
٣١)زهرة التفاسير، للشيخ محمد أبي زهرة، دار الفكر العربي.
٣٢)شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧.
٣٣)شرح القسطلاني على صحيح البخاري، أحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.
٣٤)شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.
٣٥)الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، لمحمد عمارة، دار الشروق القاهرة الطبعة الأولى، ١٤٢٣/ ٢٠٠٣.
٣٦)الصحاح، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧ م.
٣٧)صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٣٨)صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣٩)الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، لأبي الحسن الندوي، القاهرة.
٤٠)صفة النفاق وذم المنافقين للفريابي، تحقيق: أبي عبد الرحمن المصري الأثري، دار الصحابة للتراث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
٤١)صفة النفاق ونعت المنافقين لأبي نعيم، تحقيق: د عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.
٤٢)طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم، الدار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ.
٤٣)ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٣.

٤٤)العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب، مصطفى باخو السلاوي، جريدة السبيل، المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
٤٥)العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، مصطفى باخو السلاوي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
٤٦)عن العروبة والإسلام، عصمت سيف الدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.
٤٧)عون المعبود في شرح سنن أبي داود، لشرف الدين العظيم آبادي، مع حاشية ابن القيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ.
٤٨)فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن خان، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
٤٩)الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لعبد الرحمن، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية.
٥٠)فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب عواجي، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٥١)كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض.
٥٢)الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، المكتبة العلمية - المدينة المنورة.
٥٣)مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٥٤)مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦.
٥٥)معاني القرآن وإعرابه للزجاج، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٥٦)المعجم الاشتقاقي المؤصل، د. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

٥٧)معركة الإسلام وأصول الحكم، محمد عمارة، دار الشروق، ط١، ١٩٨٩ م.
٥٨)المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.
٥٩)المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي، دار ابن كثير، دمشق – بيروت ودار الكلم الطيب، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.
٦٠)مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٦١)مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم، محمد العبدة، وطارق عبد الحكيم، دار الأرقم، الكويت، ط٢، ١٩٨٦.
٦٢)الممنوع والممتنع، نقد الذات المفكرة، علي حرب، المركز الثقافي العربي الطبعة الرابعة ٢٠٠٥.
٦٣)نقد الخطاب الديني، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء وبيروت. الطبعة الثالثة ٢٠٠٧.
٦٤)نكون أو لا نكون، فرج فودة، دار ومطابع المستقبل. الطبعة الثانية ٢٠٠٤.
٦٥)النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٦٦)الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

روابط إلكترونية:

١) https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%B٩%D٩%٨٤%D٩%٨٥%D٨%A٧%D٩%٨٦%D٩%٨A%D٨%A٩_%D٩%٨١%D٩%٨A_%D٨%AA%D٩%٨٨%D٩%٨٦%D٨%B٣#cite_note-٣١
٢) http://www.hurriyetdailynews.com/no-need-for-secularism-in-tunisia-ghannouchi-٩٩٠٨
٣) https://www.alhurra.com/a/tunisia-equality-women-rights/٣٨٣٧٧٦.html
٤) http://alkhaleejonline.net

٥) http://www.turkpress.co/node/٥٥٤٨

٦) https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٩%٨٦%D٨%AF%D٨%A٧%D٨%A١_%D٨%AA%D٩%٨٨%D٩%٨٦%D٨%B٣

٧) http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia٢١/Hezb-Bath/index.htm

٨) https://www.hrw.org/ar/mn-nhn

٩) https://www.hrw.org/ar/news/٢٠١٦/٠٧/١٦/٢٩٢٠٨٣

١٠) https://www.france٢٤.com

١١) https://www.facebook.com/help/٢٠٢٩٢٤١٥٦٤١٥٧٨٠

١٢) https://ar.wikipedia.org/wiki

١٣) https://www.france٢٤.com